

# المقطف

الجزء الثاني من المجلد التاسع بعد المائة

١ يوليو سنة ١٩٤٦

٢ شعبان سنة ١٣٦٥

## ألبرت أينشتاين واستخدام الطاقة الذرية في الحروب

ولد ألبرت أينشتاين في مدينة « أولم » بألمانيا سنة ١٨٧٩ . ونال جائزة نوبل للبحوث الفيزيائية سنة ١٩٢١ ، واضطر الى أن يذهب للمنفى باختياره عند ما تسلم هتلر أوج القوة في ألمانيا ، فوفد الى الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٣٣ ، حيث عين عضواً مدى الحياة في معهد الدراسات العليا في جامعة برنستون ، وقال الرعوية الأمريكية سنة ١٩٤٠ ، وفي الثاني من اغسطس سنة ١٩٣٩ ، وقبل أن تشتعل نار الحرب العظمى الثانية بشهرين ، كتب أينشتاين كتاباً يعد الآن من وثائق التاريخ . كتب الى الرئيس روزفلت يقول : « ان بحوثاً حديثة قام بها الاستاذ « فرمي » Fermi والاستاذ زيلارد Szilard ، وقد وصلتني نسخة مخطوطة منها ، جعلتني أعتقد أن عنصر « الاورانيوم » قد يمكن تحويله الى منبع للطاقة ذي أهمية كبيرة في المستقبل القريب » . ومضى أينشتاين يقول : « ان هذه الظاهرة الجديدة قد تؤدي الى صنع قنابل شديدة الفتك عظيمة القدرة ، وان قنبلة واحدة من هذه القنابل اذا حملتها سفينة وقذفت بها ميناء ، من الممكن أن تحطمه تحطيماً مع جزء كبير مما يحيط به . ونحن ننقل هنا حديثاً لاينشتاين عن استخدام الطاقة الذرية بعد أن أصبحت حقيقة واقعة وعن احتمالاتها القريبة .

— ١ —

ان اطلاق الطاقة الذرية لم تخلق مشكلة جديدة ، بل انها خلقت ضرورة جديدة لا غير ، هي ضرورة حل مشكلة قديمة كانت قائمة بالفعل . على هذا نستطيع أن نقول إننا تأثرنا بها « كميّاً » لا « كيفيّاً » . فانه ما دام في الدنيا أمم كبرى تسود العالم وبها قوة ، فان الحرب لا بدّ واقعة حتماً . ولا نقول هذا القول لنحدث متى تقع الحرب ، ولكن لنقول بأن



الحرب لا بدّ آتية . إن هذه الحقيقة كانت ماثلة للناس قبل اكتشاف القنبلة الذرية ، أما الذي تغيّر فهو نتائج الحرب من حيث التخريب والدمار .

اني لا أعتقد أن الحضارة سوف تفنى إذا ما قامت حرب أساسها التراشق بالقنابل الذرية . يحتمل جداً أن ثلثي سكان الأرض سوف يموتون ، ولكن سيبقى بعد ذلك قدر منهم ، فيهم القادرون على التفكير ، وبين أيديهم من الكتب ما يستأنفون به العمل ثانية في سبيل الحضارة لتقوم مرة أخرى .

ولا أوصي بأن يُفَضَى بسر القنبلة الذرية الى مجموعة الأمم المتحدة ، كما أوصي بأن لا يعطى هذا السر الى الاتحاد السوفيتي . ان كلا الأمرين مثله كمثل رجل عنده رأس مال أراد أن يشرك آخر معه في مشروع ، فبدأ بإعطاء نصف رأس ماله لشريكه هبة بغير مقابل ، فأخذه هذا ، ومضى ينفذ مشروعاً آخر ينافسه به ، في حين أن الهبة كانت لتحقيق التعاون لا المنافسة .

ان سر القنبلة الذرية ينبغي أن يعهد به الى حكومة علمية ، وينبغي للحكومة الولايات المتحدة الأمريكية أن تعلن فوراً استعدادها بأن يُفَضَى بهذا السر الى هذه الحكومة العالمية إذا أُلِّفَت . أما هذه الحكومة فتتألف من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا العظمى — وهي الدول الثلاث التي في استطاعها الآن أن تشن الحرب ، على أن تضع هذه الدول كل قوتها الحربية تحت تصرف هذه الحكومة وتجعلها خاضعة لها دون غيرها من السلطات . وحقيقة أن في العالم ثلاث دول يتقاسمن القوة الحربية في العالم ، أمر يجعل تأليف مثل هذه الحكومة أمراً هيناً غير عسير .

ولما كانت الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى هما صاحبتا سر هذه الطاقة ، فعليهما أن يكلفا حكومة الاتحاد الروسي وضع مشروع هذه الحكومة والقواعد التي يقوم عليها . على ان هذه الخطوة من شأنها أن تخرج من روع روسيا كثيراً من الشك الذي يبدية الروسيون من جراء الاحتفاظ بسر الذرة وطريقة استعمالها في الحرب . ولن يكون أول مشروع تضعه روسيا نهائياً ، ولكن الواقع أن ذلك يجعل روسيا تحس أن هذه الحكومة العالمية يمكن أن تحقق سلامتها .



وانه لمن العقل أن يعهد بمبحث هذا المشروع الى ثلاثة رجال، أمريكي وإنجليزي وروسي. ولا بد لهم من نصحاء ومشيرين، ولكن هؤلاء ينبغي أن يظلوا بعيدين عن لب المبحث إلا إذا طلب اليهم الافضاء بأرائهم. اني لأعتقد أن ثلاثة رجال يكفون لوضع دستور عملي تقبله الدول الثلاث. أما إذا زاد عدد الذين يقومون بوضع المشروع على هذا العدد، الراجح أن يفشل المشروع ولا يقوم.

بعد أن تضع الدول الثلاث الكبرى أصول هذا المشروع وتتمه، تدعى الدول الصغرى الى المشاركة فيه، فتصبح هذه الدول أعضاء في الحكومة العالمية، لهم حسناتها وعليهم مسؤولياتها. على أنه ينبغي أن تكون لهم حرية الاختيار في الاشتراك أو في البقاء خارج هذا النظام. وبرغم اعتقادي أنهم سوف يشاركون فيه، فإنهم سوف يشعرون بالأمن والطمأنينة اذا لم يشتركون. ومن الطبيعي اذا دعين أن يكون لهم حق ابداء ملاحظاتهم على المشروع بعد أن تعدد الدولات الثلاث الكبرى. ولكن الدول الكبرى ينبغي عليهم أن يقدموا على تأليف هذه الحكومة العالمية، اهتراك الصغريات فيه أم تنحين عنه. من الطبيعي أن يكون للحكومة العالمية حق السيطرة على كل القوى الحربية، مضافاً الى ذلك حق آخر، هو حق التدخل فيما اذا نشأت أقلية في بلد من البلدان واستبدت بالأكثرية وعملت جاهدة في بذر أصول الحرب. حالات مثل تلك الحالات القائمة في اسبانيا والأرجنتين ينبغي التدخل فيها. يجب أن يقضى قضاء تاماً على مبدأ «عدم التدخل». ذلك بأن القضاء عليه ضمان ضروري للسلم.

إن مشروع تأليف الحكومة العالمية لا يجب أن يظل معطلاً حتى تتعادل كفاءات النظام الحربي في الدول الكبرى، فانه بالرغم من أن روسيا لا تزال الى الآن محكومة بأقلية دكتاتورية، فاني لا أتصور أن يكون النظام الداخلي في أية أمة من الأمم مهدداً للسلام العالمي. وكذلك يجب أن نعي أن الشعب الروسي لم يمارس التعليم السياسي مدة طويلة، والتغيرات المطلوبة لتحسين الأحوال في روسيا، ينبغي أن تقوم عليها أقلية، ذلك بأنه ليس هنالك من أغلبية تضطلع بها. ولو انني ولدت روسيا إذن لعملت على أن أهني نفسي لقبول هذه الحال.



وليس من الضروري في تأليف نظام حكم عالمي من خصائصه أن يحتكر السلطة الحربية ، أن تتغير الأوضاع الداخلية القائمة في كل من الدول الثلاث الكبرى . فعلى الثلاثة الذين يختارون لوضع قواعد هذا النظام ، أن يراعوا ظروف كل دولة ويصبون النظام في قالب يحقق تضامنها جميعاً .

## - ٢ -

هل لي أن أخشى استبداد هذه الدول الثلاث بأمور العالم ؟ طبعي جداً أن أفعل . ولكني أشد خشية من وقوع حرب أو حروب أخرى .

إن أية حكومة مهما كان شكلها هي بذاتها شر إلى حد محدود . ولكن حكومة عالمية مهما كانت ضرورها هي أهون عندي من شر الحروب ، وبخاصة بعد أن تبين لنا مدى قدرتها على التحطيم والهدم والتخريب . وإن حكومة عالمية إذا لم تتألف اختياراً وبمقتضى الاتفاق بين الدول ، فاني أعتقد أنها سوف تؤلف برغم ذلك ، ولكن بطريقة بالغة الخطر ذريعة النتائج . ذلك بأن حرباً أو حروباً إذا وقعت أدت حتماً إلى تسود دولة بعينها وتسلطها وتفردتها بالقوة الحربية تفرداً يشمل العالم كله .

أما وقد حصلنا على سر الذرة ، فلا ينبغي لنا أن نقده ، كما لا ينبغي لنا أن نخاطر بالافضاء به إلى هيئة الأمم المتحدة أو الاتحاد السوفيتي . ولكنه يجب علينا إلى جانب هذا أن نوضح للعالم وفي أقرب وقت ، أننا لا نحفظ بسر الذرة لنتخذ منه سبيلاً إلى القوة والقهر ، بل ابتغاء تأليف حكومة عالمية تحافظ على السلام ، وأننا سنعمل بأقصى ما يصل إليه جهدنا إلى جعلها حقيقة واقعة .

اني أقدر رأي أولئك الذين يقولون بالتدرج في تأليف حكومة عالمية بأن نجعلها الهدف الغائي لأعمالنا وسياساتنا . أما الخطر الذي أراه في الأخذ بطريقة التدرج فينحصر في أنه في مدى الفترة التي نتدرج فيها نحو تحقيق ذلك الهدف الغائي ، سنضطر إلى الاحتفاظ بسر الذرة ، من غير أن تقنع غيرنا من لا يملكون سرها بحسن نيتنا . وهذا وحده كافٍ لخلق جو من الخوف والريبة ، وهو ولا شك يؤدي إلى انتكاس خطر من علاقات الدول الكبرى إذ تظل في حالة تنافس وتناوب مستمرين . وبذلك يخطئ الذين يتخيلون أنهم يعضون أماس



السلم العالمي ، لأنهم يتهاونهم وتقاعسهم في هذا الشأن انما هم يعملون على تمهيد السبيل الى حرب تالية . وليس لنا من وقت نضيمه سدئ الآن . فانا اذا أردنا أن نتجنب الحرب ، وجب علينا أن نعمل مسرعين .

على اننا سوف لا نتفرد بسر الذرة طويلاً . واني لأعرف أن كثيرين يعتقدون أن غيرنا من الأمم ليس عندها ما يكفي من المال لتنفقه في سبيل الوقوف على سر القنبلة الذرية ، وان ذلك وحده يكفي للاقتناع بأننا سوف نحترس سرها زمناً طويلاً . على انه من أكبر الأخطاء الشائعة في هذه البلاد أن نقيس الأشياء بمقتضى ما تتكلف من مال . على أن غيرنا من البلاد التي تملك المواد والرجال في استطاعتها أن توجه جهودها الى اكتشاف سر الذرة وأن تستكشفه إذا هي عقدت العزم على ذلك . فان المواد والرجال والارادة هي العوامل الأولى في النجاح ، لا المال .

إني لا أعتقد أني الأب الروحي لاطلاق الطاقة الذرية . إن أثري في هذا العمل جاء بطريق غير مباشر . وكذلك أقول إني لم أتوقع أن تطلق تلك الطاقة في زماني . وكل ما خيل الي في هذا الأمر أن اطلاق هذه الطاقة ممكن نظرياً . ولكنه أصبح واقعاً بطريق المصادفة ، وبمقتضى حقائق طبيعية لم أتصورها . وقد استكشفها «هاهن» في برلين ، ولكنه أساء تفسير ما استكشف . أما الذي فسرها التفسير الحقيقي فهو « ليز ميتينر » Lise Meitner وقد هرب من ألمانيا ليفضي بالسر الرهيب الى « نيلز بوهر » Niels Bohr

\*\*\*

لا أعتقد أننا مقدمين على تحقيق عصر العلم الذري اذا نحن عهدنا بالبحث إلى جماعات كبيرة من العلماء على غرار الاتحادات الكبرى القائمة الآن ، ان الانسان في مستطاعه أن يفعل ذلك في شيء تم استكشافه ، ولكن أن تستكشف شيئاً جديداً فليس ذلك سبيله . ان الفرد الحر وحده هو الذي يستطيع أن يقع على كشف جديد . نعم : ان هنالك طريقة لتنظيم العمل ، ولكنها غير طريق الجماعات ، بل هي طريق الأفراد بأن يعطوا من الحرية ويهيئوا بحالات تجعلهم قادرين على العمل والبحث . فأساتذة العلم في أمريكا مثلاً ، ينبغي أن يفرغوا بعض الشيء من مهام التدريس ليحكموا على موالاة البحث والاستمرار فيه .



فهل لك مثلاً أن تتصور أن جماعة من العلماء في مستطاعهم أن يصلوا مجتمعين الى مثل الكشوف التي وصل اليها شارلز درون ؟

وبالإضافة الى ذلك أشك في فائدة تلك الاتحادات الكبيرة في الولايات المتحدة لحاجات هذا العصر . فان زائراً من سيار آخر لو أنه هبط على هذه البلاد ، أفلا يدهش من القوة التي تتمتع بها هذه الاتحادات من غير أن يكون عليها من المسؤولية قدرًا يناسب تلك القوة ؟ أقول هذا لأثبت ضرورة أن تحتفظ الحكومة الأمريكية بسر الطاقة الذرية ، لا لأن الاشتراكية أمرٌ غير مرغوب فيه ضرورة ، بل لأن هذه الطاقة قد استكشفتها الحكومة ، ومن الحق أن يعطى هذا الشيء وهو ملك عام للشعب الأميركي أو الى أي فرد أو أي مجموع من الناس . أما من حيث الاشتراكية ، فانها اذا لم تكن دولية الى حد العمل على تأليف حكومة عالمية تأخذ في يدها كل القوى الحربية ، ففي الغالب تكون أداة أكثر تسبباً للحرب من الرأسمالية ، ذلك بأن الاشتراكية تمثل نظاماً أكثر تركيزاً للقدرة في أيدي قليلة .

أما أن أقدر متى تصبح الطاقة الذرية مطبقة في الحاجات والأغراض الانشائية ، فذلك مستحيل . إن ما هو معروف حتى الآن ينحصر في كيفية استعمال كمية كبيرة من الاورانيوم . أما استخدام كميات صغيرة منه بحيث تكون كافية للعمل لتسيير سيارة أو طائرة ، فأمرٌ مجهول حتى الآن . واني لا أشك في أن ذلك سوف يكشف حجاباه ، ولكن من العسير أن يتنبأ انسان متى يكون ؟

كذلك لا يستطيع انسان أن يتوقع متى يمكن توليد الطاقة الذرية من مادة أكثر ذيوماً من الاورانيوم . وبديلاً أقول أن المواد التي يمكن أن يحصل منها على الطاقة الذرية ، لا بد من أن تكون من بين العناصر الثقيلة ذوات الوزن الذري الكبير . وهذه العناصر قليلة نسبياً ، لأنها أقل ثباتاً من غيرها . على أن أكثر هذه المواد ربما تكون قد زالت وفنت بسبب ما فيها من النشاط الاشعاعي . واستخدام الطاقة الذرية ، ولو انه سوف يكون نعمة صابغة على النوع البشري ، فان ذلك سوف يتأخر بعض الوقت .

وإني لا أعجز عن أن أعبر تعبيراً جيداً عن الحاجات السريعة والمشكلات التي تواجه النوع البشري الآن . وكذلك فاني أحيلهم الى كتاب « إمري ريفز » Emery Reves الذي عنوانه :



The Anatomy of Peace فانه كتاب مختصر مفيد واضح الأغراض ، وفيه عرض شائق لما أدعو اليه من نظام الحكومة العالمية .

\*\*\*

بالرغم من أنني لا أعتقد أن الناس سوف ينعمون قريباً بما سوف تهديهم اليه الطاقة الذرية ، فإني أقول أنها في هذا العصر داهية دهياء . فانها قد تحول دون السلالة البشرية أن تصل الى نظام مآ في المسائل الدولية ، ما لم يأخذ الخوف والفزع بمخناق الشعوب

### المجلس القومي

National Assembly. — Assemblée Nationale ( fr. )

في التاريخ الفرنسي :

أول الجمعيات الثورية ، وقد ظل مسيطراً على فرنسا من سنة ١٧٨٩ الى سنة ١٧٩١ ويتلخص تاريخه في أن « مجلس الطبقات States-General انتخب في سنة ١٧٨٩ وافتتح في ٥ من مايو ، وفي شهر يونيه طفت الطبقة ( Estate ) الثالثة على الطبقتين الاخرتين ، أي العامة ، على النبلاء ورجال الدين ، وتسمت باسم « المجلس القومي » وانحصر عملها في وضع الدستور فسميت « المجلس التأسيسي » ( Constituent Assembly ) . وهناك جمعيتان فرنسيتان دعيتهما بهذا الاسم . الاولى : الجمعية التشريعية التي ألفت في فرنسا بعد ثورة سنة ١٨٤٩ ، والثانية : الجمعية التي التأمّت سنة ١٧٨١ بعد سقوط القيصريّة الثانية .



## خریف

لشّمس خلف مطارف السُّحُب      صورٌ تثيرُ مكامن الرِّيب  
فكأنها والغيم يحجبها      عينٌ مسهدةٌ من الوصب  
وشعاعها ذوب النضار هي      أو صيّبٌ من عارض اللهب  
ينساح صوب النور منهراً      ويفيض في الآفاق عن صيب  
والغيم لجّ ضلّ ساحله      فأغار كالحموم عن غضب

\*\*\*

نشر الصباحُ دفين ما كتمت      في صدرها الدنيا من الكُرب  
فانزاح ستر الليل عن صور      شتى وعن أشجان منتحب  
يا هول ما تخفي الحياة من الـ      أحزان خلف مطارف قُشْب  
ما أشرقت شمس على بلدٍ      إلاّ وضجّ القوم بالحرب

\*\*\*

هتك الخريفُ غلالة عجباً      من نسج ما نظمت يد السحب  
ومضى يفتحُ بكلّ رايةٍ      من كل داء غير مرتقب



فارتاعت الأفنان واصطفقت  
 وتناثرت أوراقها بدداً  
 كدما مع من جفن مغترب  
 تتساقط الاوراق عن فتن  
 كهيض جنح حطاً من لغب  
 أو كالفراشة آنت قبساً  
 في ليلة ظلماء عن كتب  
 فهوت ترمى بالجنح على  
 قبس من النيران ملتهب  
 للغصن من شجن اذا عصفت  
 ريح به أشجان مكتئب  
 تترنح الاغصان مائلة  
 كترنح السكير من وصب  
 وتمدد فوق شتيت ما نثرت  
 من نورها الارواح كف أب  
 أوراقها فوق الثرى بدد  
 وعلى الرنى نهب لمحتطب

\*\*\*

آمالنا ورق تقاذفه  
 يد عابث في لجة الحقب  
 وشبابنا الفينان فاكهة  
 لسكنها نهب لمغتصب  
 أسفاً : أكل شبيبة سمقت  
 تجتذ دوحها يد العطب ؟

دمشق

عمر ناره مرمر بك



# ساروجيني نايدو

شاعرة الهند وروحها الحائر

في الهند ألوف من النساء كلهنَّ باسم « ساروجيني » ، فانه اسم محبب عند الهنود .  
ولكن في الهند « ساروجيني » واحدة ، هي القيثارة الربانية التي يقف عندها جميع أهل  
الهند ينصتون إذا ما انطلقت بألحانها الشجية .



هذه القيثارة « ساروجيني نايدو » من أسرة  
برهمية قديمة من شرقي بنكاله . استقرَّ المقام بأبيها  
دكتور « شائو بدَهايا » وأسرته في « حيدر  
اباد » بمقاطعة « الدَّكن » ، وهناك ولدت  
« ساروجيني » في الثالث عشر من شهر فبراير سنة  
١٨٧٩ ، وكانت أمها امرأة عاقلة عطوف ، فنشأت  
شاعرة المستقبل في طفولة هادئة سعيدة وسط أسرتها  
الكبيرة المؤلفة من عدَّة اخوة وعدَّة أخوات .

كانت « ساروجيني » أوَّل نشأتها فتاة لامعة  
الذهن ذكية الفؤاد نشيطة الحركة ، ولقد لبسها

ساروجيني نايدو  
شيطان الشعر وهي في أوليات سنينها . فلما كانت في الحادية عشرة من عمرها ، تغنت بأول  
أشعارها ، وكأنها كانت تنطق بلغة شاعر عربي حديث إذ يقول :  
للحب أول أشعار هتفت بها وللجمال بها أولى رسالاتي (١)

(١) البيت للشاعر علي محمود طه واليهتان السابقان هما :  
جددت ذاهب أخلاقي وليلائي فهل لديك حديث عن صباياني  
يا كعبة الخيالاتي وصومعة رتلتي في ظلمها للحنن آياني  
للحب أول أشعار هتفت بها وللجمال بها أولى رسالاتي



وبدأت في الثالثة عشرة تنسج قصيدة مطولة على غرار قصيدة مير « وولتر سكوت » :  
 سيدة البحيرة : "Lady of the Lake" ، وأخذت تكتب « مأساة » قصيرة : ووفدت الى  
 إنجلترا في سنة ١٨٩٥ ، ودرست في كلية « كسجس » بلندن ، وفي كلية « غرتون » بكمبرج  
 ولكن سوء صحتها جعلها على القفول ثانية الى الهند بعد ثلاث سنوات .

\*\*\*

ابتعدت « ساروجيني » عن ان تطرق الموضوعات « الغربية » ، وانطوت على الهند  
 تستلهمها الوحي وتستمد منها مادة القوافي . فأخذت تكتب عن أسواق الهند وعن أعيادها  
 وعن مناظر أرضها الأولى وخلصات نفسها تتجه نحو كل ما هو هندي ، فصاغت في لغة أهل  
 التاميز مجموعة من الأشعار فيها كل نبضات الشرق الحزينة المتوثبة نحو الكمال ، خلقت بها  
 تلك الأنغام الشجية الى سماوات أفعمت بماء الغرب كله . أما الجمال الذي تخلعه أشعارها على  
 بحالي الهند ، فمن الأسباب الأولى التي طيرت اسمها في آفاق الخلود .

وظهر للشاعرة ثلاثة كتب : الأول « العتبة الذهبية » : The Golden Threshold ،  
 والثاني « طائر الزمان » : The Bird of Time ، والثالث : « الجناح الكسير » : The Broken Wing

\*\*\*

في سنة ١٨٩٨ تزوجت « ساروجيني » من دكتور « نايدو » من ناهبي أهل  
 « حيدر اباد » فاستولدها أربعة أولاد قالت فيهم قصيدتها المشهورة « الى أولادي » :  
 To my Children ، فوصفت ابنها الأول « جايا سوريا » بأنه سوف يكون « شمس الأغنيات  
 والحرية » . وقالت في ابنتها « باداميا » — « أنها عذراء تفيض بالطعوم الحلوة ، بريئة كزهرة  
 النيلوفر » . ووصفت ابنها « رانادھيرا » — بأنه « رب المعارك » ، وتمنت لو أنه يجاهد  
 جهاد بطل مغوار في معركة الحياة . أما ابنتها « ليلاماني » فهي عندها — « دُرّة المرح »  
 وتمنت لو أنها تظل ما عاشت « محرّرة من الحزن فائقة بالغبطة » .

\*\*\*

أما بيتها في حيدر اباد فسمته « العتبة الذهبية » بعنوان قصيدتها التي أشرنا اليها آنفاً



توقية عالمت عليها تهديك رقة دكمة ولحيت حياة منتجة خصبة ، ومن جنباته قادت الحياة  
الاجتماعية والثقافية في تلك المدينة الصاخبة .

\*\*\*

وفي سنة ١٩٢٠ افتتحت « ماروجيني » ميدان السياسة القومية ، ورأست « مؤتمر  
الهند القومي » ، وأصبحت الساعد الأيمن لمهاتما « غاندي » ، وكانت في طليعة الحركة  
النهائية فرأست « مؤتمر الهنداء الهندي » .

وليد « وفي سنة ١٩٣٤ هبطت إنجلترا مع مهاتما « غاندي » عضواً في مؤتمر « المائدة المستديرة » .  
وذلك بأن فيها من صفات الجدا والعقل ونزاهة النفس ما أهلها لأن تكون من الرعيات  
المبرورات في الميدان الحياة العلمية .

وبالرغم من أنها كرست حياتها لمشكلات بلادها القومية ، وصرفت في سبيلها كل ما  
وهبتها الطبيعة من قوة ، ظلت إلى جانب هذا كبيرة الاهتمام بالمثاليات الائمة ، مثاليات  
الدولية العالمية ، القائمة على « تيساطف الشعوب وتبادل المنافع واحترام الحقوق العامة  
للشعوب أجمعين » .

\*\*\*

وهي فوق ذلك تتصف بالمرح وسعة الأفق ، فنقول : « إن أعظم ما وهبني الحياة من  
الهباء ، أو الحزني ما وهبني مزاجي منها ، هو الضحك ، وليس عندي في الدنيا ما يساويه  
قيمة » . كذلك هي بروحها ومزاجها هذا من المتحمسات اللواتي يشعن في جوهن الاقدام  
ويبعن قوة الخيال والوحي فتشقد وتزكو ، فلا تنجو .

\*\*\*

إن « ماروجيني نايدو » هي « مخببان »<sup>(١)</sup> الهند ، وكرائها الفرد . هي خطيبة  
في مستطاعها أن تحمل منامعها على جناحيها وتطير بهم في آفاق مديدة قصية ، إذ تأخذهم  
بلاغتها ، وتخزلهم بنصائحها وانساق معانيها وألفة عباراتها وخيالها الشمري ومنطقها  
المهادي الرصين .

آفاق الهادي خطيب الجاهلي يقول انم أخطب العرب



ان روح هذه الشاعرة الشرقية العظيمة قد انصبَّ جميعاً في شعرها ، وحياتها الغالية  
الشمينة تمثلت جميعاً فيه . وننقل هنا مثلاً من شعرها تهب فيه نوافح القوَّة والبكاء على  
وطنها ، فترثيه ، ولكنها في الوقت نفسه تستعديه على الزمن وعلى الأقدار .

## To India

" O young through all thy immemorial years !

" Rise, Mother, rise, regenerate from thy gloom,

" And, like a bride high-mated with the spheres,

" Beget new glories from thine ageless womb !

☆ ☆ ☆

" The nationas that in fettered darkness weep

" Crave thee to lead them where great mornings brake...

" Mother, O mother, wherefore dost thou sleep ?

" Arise and answer for thy children's sake !

☆ ☆ ☆

" Thy Future calls thee with a manifold sound

" To crescent honours, splendours, victories vast ;

" Waken, O slumbering Mother, and be crowned,

" Who once wert empress of the sovereign Past.

☆ ☆ ☆

هذه الروح لا يدركها إلا شاعر ، وحرام أن ينقلها الى العربية غير شاعر ، شرأ  
أو شعراً .



## خرافة تاريخية

سميدة نورميدور ومصرع روبسيير

أذكر أن مجلة الهلال كانت قد نشرت منذ سنوات مقالاً عن انقلاب نورميدور في أيام الجمهورية الفرنسية الأولى . ذلك الانقلاب الذي أدى الى مقتل روبسيير وازالة حكم الارهاب . وقد ذكر الأديب الفاضل صاحب المقال أن تالين النائب الارهابي النزعة، عشق تريزا كاباروس التي كانت تسمى مدام فونتني قبل أن تطلق من زوجها الأول ، وأن هذا العشق صقل نفس تالين وألهمه الرحمة والعدل والاعتدال وكان مندوباً للحكومة الثورية ومجلس النواب للبطش بالرجعيين في بوردو وحوض الجارون . فلما رأى روبسيير أثر ذلك العشق، سجن تريزا كاباروس، فأرسلت الى صاحبها تالين الرصائل من سجنها تحنه على اسقاط روبسيير، كما أرسلت اليه خنجراً كي يقتله فيخلص الشعب منه ، فأدركت تالين الحماسة والشهامة، فقام في مجلس النواب وحشهم على اسقاط روبسيير وازالة حكم الارهاب فانقاد له النواب وأسقطوا روبسيير . وهذه القصة تخالطها أغاليط تجعلها أشبه الاشياء بالخرافة . وهي مؤسسة على اشاعة شاعت بين الجمهور الجاهل عقب مصرع روبسيير ، ثم زينها لامارتين الشاعر المؤرخ بخياله ، وان كان خياله في بعض الاحايين موضعاً للحقائق كالمنظار المكبر، ولكنه كان في بعضها خيالياً يطغى على الحقائق . ثم نفعها المؤرخ أرسين هوسي بأسلوبه الخطابي وهو يعترف أنه أخذ القصة عن إحدى بنات تريزا كاباروس . أما أن تالين عشق تريزا فصحيح ، وصحيح أن روبسيير قضى بسجنها ، وصحيح أن تالين كان من المؤثرين به وانه رفع خنجراً في مجلس النواب، ولكن كل ما عدا ذلك باطل للأدب الآتية :

أولاً — إن روبسيير كان يدافع عن الارهاب من غير شك، ولكنه كافيكره ما كان يفعل كثير من زعمائه من اتخاذ وسيلة لنيل مآربهم واختلاس الأموال وقبول الرشاي



والتجارة بأوامر العفو عن المتهمين واتخاذ الرشوة سلاحاً معلقاً فوق رؤوسهم ، من دفعها نجا، ومن لم يدفع أعدم. وقد اتهم تالين بهذه التهم ومن أجل هذه التهم استدعى الى باريس. وقد اتهمت تريزا كاباروس عشيقته بأنها كانت من وسائل تلك التجارة بأوامر العفو وقبول الرشاوي وانتهاب الاموال ومن أجل ذلك لم تذكر اسم تالين عند استجوابها بعد القاء القبض عليها كأنها ما كانت تعرفه .

هذا التجاهر كان خطتها وخطته في ذلك الوقت قبل سقوط روبسبير وهي خطة معقولة سليمة مساهمة لتجنب خطر تلك التهم . ولكنها تخالف القصة الخرافية التاريخية المعروفة .

ثانياً — إن الأوراق التي خلفها روبسبير وشكاوى تالين من مراقبته تثبت أن رقابة شديدة كانت مفروضة عليهما فما كانا يستطيعان تبادل الرسائل وعشيقته مسجونة .

ثالثاً — كان السجناء يفتشون المسجونات عن مخبآت ، وقد كانوا في بعض الاحيان يبالغون في ذلك فيفتشون عوراتهن فما كان من المستطاع أن تخفي تريزا خنجراً . وكانت المسجونة تنزع عنها ثيابها كلها عند دخولها السجن وتفتش ثيابها وأعضاء جسمها أمام عدد كبير من الشرطة .

رابعاً — لو فرضنا جديلاً انها كانت تستطيع أن تخفي خنجراً فما كانت تستطيع أن تبعث به الى تالين مع الرقابة الخاصة المفروضة عليها وهي لو استطاعت، فانهما ما كان يبلغ بها الحق هذه الدرجة إذ أي رسول كان يؤمن على تحريض على القتل يؤدي الى اعدامها بلا تردد . وهي تريد النجاح لا الهلاك .

خامساً — كان هم تالين قبل الائتار بروبسبير أن يزيل من ذهنه أثر صلته بتريزا التي كانت من أسباب استعدائه واتهامه في زواجه فكانت خطته أن يقطع صلته بها ويسترضيه .

سادساً — بالرغم من دفاع روبسبير عن الارهاب فانه كان يهاجم أي مندوب في المقاطعات بلغه مبالغته في القتل بغير حق كما هاجم فوشيه ، وقال له ان الجريمة مكتوبة على وجهه . ويكفي أن تقارن بين حكم كوثنون صديقه في مدينة ليون وبين حكم فوشيه وكولودربوا، لنعرف أن أعداءه زعماء الارهاب الذين دبوا الائتار به لم يفكروا في تعطيل الارهاب عند ائتمارهم به . ويحسن أن نذكر أن المعتدلين من النواب وكانوا أكثر الأعضاء تردداً



قبل أن ينضموا الى ذلك الائتار خشية انتقال النفوذ الى من هم أشنع منه . إلا أن نفوذ روبسبير في جمعية اليقويين وسيطرته على المجلس البلدي في باريس جعلته خطراً أعظم . وكانت تلاحقه عداوة اتباع من حثّ على قتلهم كما انه أخطأ في مخاصمة أكثر زملائه من أعضاء مجلس السلامة وتهديد النواب تهديداً حسبه كل نائب موجهاً اليه . وعند ما رفع تالين خنجره كان يعرف أن الارهابيين والمعتدلين يجمعون على اعدامه ولولا ذلك ما اجترأ على رفع الخنجر .

سابعاً — ان انتصار الجيوش الفرنسية ودفع خطر الفزاة عن فرنسا كانا أهم سبب من أسباب سقوط روبسبير ، إذ لم يعد هناك داعٍ يسوغ بقاء الارهاب الذي كان بمنزلة أحكام عرفية شديدة الوطأة قبلها الفرنسيون وخضعوا لها في أوقات الخطر الداهم من الخارج . ولكن إذا كان لانسان فضل في تدبير الائتار فافضل في ذلك لقوشيه الداهية الذي كان يعمل في الخفاء كي يؤلف بين الأحزاب ونسب الفضل الى تالين لأن الجمهور لم يكن يعرف أسرار ذلك الائتار وراعيه اشارة تالين بالخنجر .

ثامناً — كان روبسبير قد أغرى النواب بوضع حدٍّ أعلا للأجور لا يتعداه مامل أجير . وكانت الأجور قد ارتفعت ارتفاعاً كبيراً خشي منه أن يعطل الأعمال وكان ارتفاع الأجور بسبب تجنيد كثير من العمال وارسالهم الى الحدود للدفاع عنها . وكلما قلّ عدد العمال ارتفعت الأجور . ولكن الأوراق المالية كانت قد انخفضت قيمتها وارتفعت أثمان الحاجات . ولعلّ وضع حد لارتفاع الأجور كان من أهم أسباب انصراف رجال الثورة في باريس — وكان أكثرهم من العمال — عن روبسبير عندما اعتصم بالمجلس البلدي ، فتمكنت جنود الحكومة من القبض عليه مرّة ثانية ثم أعدم وانتقل النفوذ الى المعتدلين في جمعية النواب .

تاسعاً — ان تاريخ تالين وتريزا كباروس بعد مقتل روبسبير يكذب أيضاً تلك الاسطورة . انه تزوجها كي يستثمر اسياسياً وأديباً أسطورة الحب المطهر القاهر الذي غلب روبسبير . ولكن تالين كان مضطرباً في سياسته يخون الحكومة سرّاً . وبالرغم من وعده بالدفاع عن أمرى حملة كبيرون من النبلاء يسلمهم للقتل وما زال يتخبط حتى فقد



تقوده . أما تريزا فقد انتقلت الى عشاق مثل بارّا واو فرار وطلقت منه ، بعد أن أسرها وبذرا الأموال التي جمعهاها .

والخلاصة اذاً هي أن عشق تالين تريزا كبا روس لم يكن له أثر في سقوط روبسبير وانتهاء حكم الارهاب ، وان تالين كان أداة في يد غيره من أمثال فوشيه ، وان الحب لم يظهر قلبه ، وان قصة إرسالها الرسائل والخبر من السجن كي تحت تالين على اسقاط روبسبير وقتله قصة خرافية ، وأن تالين كان يدافع عن حياته عندما اشترك في الاثمار به بعد أن حاول استرضاءه وخاب ، وبعد أن تذلل له فلم يكن اشترائه في الاثمار بسبب حبه تريزا ، وان الارهابيين الذين رأسوا ذلك الاثمار ما كانوا يفكرون في ازالة حكم الارهاب بل كانوا يريدون بقاءه ما دامت الحرب قائمة لأنه كان بمنزلة أحكام عرفية . وأما زال بالرغم منهم عندما ابتعدت أخطار الحرب وأبى الشعب أن يظل قائماً . ع . ش

أَتَقْضَى مَعِيَ إِنْ حَانَ حَيْنِي تَجَارِبِي

وَمَا نَلِسْتُهَا إِلَّا بِطُولِ عَنَاءِ

وَأَبْذَلَ جَهْدِي فِي اكْتِسَابِ مَعَارِفِ

وَيَتَفَنَّى الَّذِي حَصَلَتْهُ بِفَنَائِي

وَيَحْزُنُنِي إِلَّا أَرَى لِي حِيلَةَ

لِإِعْطَائِهَا مِنْ يَسْتَحِقُّ عَطَائِي

إِذَا وَرَثَ الْجَهْلُ أَبْنَاءَهُمْ غَنَى

وَجَاهًا ، فَمَا أَشَقَى بَنِي الْحُكْمَاءِ

« من شعر المرحوم حفي بك ناصف »



## أدب البحر

عند العرب والفرنجية

لم يأنس العربي بشيء في يوم من أيام حياته إيناسه بناقته ، فهي عروس الصحراء يتغنى بها ويفقدو ، ويريق عليها روائع الوصف وبدائع الوشي ، وهي الى هذا كله ملاذه الأمين ، إذا عطش شرب من ضرعها ، أو جاع نحرها ، أو ارتحل امتطأها ، مثل هذه الناقة عزيزة على العربي ، كان يضرب بها في مشارق الأرض ومغاربها وفي بعض الأحيان يقف أمام شيء أزرق لا حدود له ولا نهاية ، فتزهو روعة هذا الشيء العظيم ، ولما كانت طبيعة الصحراء هي الحاكم المطلق في نفس العربي ، لذلك رأيناها يبتعد جهده عن البحر ، هذا البحر الذي قال عنه لوتي : ( الحلقة الزرقاء والوحدة القائمة العميقة ، لا شيء يمر ولا شيء يتغير ) . يرتد العربي عن البحر ، وفي قلبه تطلع الى ارتداد آفاقه ، ولكنه يعلم حق العلم وحدته في دنيا البحر ، فكل شعوب الأرض لها آلهة ، وهذه الآلهة تتولى كل حرفة برائتها ، وكل صناعة بعنايتها ، فالأغريق مثلاً يؤمنون بـ ( بوسيدون ) إله اليم ، ويعتقد فيه اعتقاداً عميقاً قوياً حتى أنه كان لا يتورع عن تقديم ضحايا بشرية له ، مقابل بسط سلطان رحمته عليه . أما العربي فلم تكن له آلهة بمر تحميه من شر اليم ، لا بل انه قلما ارتاد البحار وجاب آفاقها وهو إذا طرق باب الهند فقد كان يلزم سيف الشاطئ في معظم الأحيان ، وهكذا لم نجد في الأدب العربي القديم شيئاً يطلق عليه اسم أدب البحر ، ذلك الأدب الذي يصور لنا حياة الخضم و ( افروديت ) منبثقة من زبد الأبيض الناصع ، وأسطول ( آغامنون ) ومغامرات القرصان وانطلاق الرواد في مجاهل البحار لاكتشاف الرقاع الجديدة ، كان كل هذا مصدر أدب وجداني طريف ، طالعنساء في شعر ( أندره كانتل ) ، وآثار ( كاميل فالو ) الذي يعتبر من



أكبر كتاب البحر ، و ( رامبو ) في ( سفينة السكري ) والكاتب القصصي ( ستيفان زديك ) في حكاية ( ماجلان ) وأخيراً ( بودلير ) يطلع علينا بأروع شعر عن البحر ، يطلع علينا بقوله : ( ما من أحد يعرف ثروتك ، كم أنت غيور على كتمان أسرارك ) ويتابع بودلير قصيدة ( الرجل والبحر ) على هذا النحو من التنظيم الذي خص به وانفرد به دون غيره من الشعراء ، ومن ثمَّ ( بيرلوتي ) وكلود فاريير يصفان البحر وصفاً منشوراً لا يجاريه وصف .

ولكن شعراء وكتاب الانجليز فاقوا غيرهم في هذا الباب ، فقد كان البحر مادة حياتهم الأولية ، منه انطلقوا ومنه ذهبوا في الآفاق ، ومنه شادوا امبراطوريتهم من سفينة الصيد البدائية حتى أحدث سفينة عصرية ، تحمل فوقها شعراء مغامرين كما حدثنا ( مايكل لويس ) في كتابه ( البحرية البريطانية ورجالها ) — هؤلاء الشعراء وصفوا شيئاً أعظم من البحر أيضاً ، وصفوا معارك البحر ، كما فعل الشاعر ( كامبل ) حيث تمّص معركة ( الارمادا ) ثم الطرف الآخر أحسن تنميق .

\*\*\*

نشأ العرب نشأة بدوية ، لذلك عزَّ عليهم مفارقة المفاوز الى غيرها من سبل هذه الحياة الدنيا ، فكانت معظم رحلاتهم التجارية برية ، رحلتى الشتاء والصيف ، ولم يغامروا فوق سطح البحر وراء ما قال عنه الشاعر بول كاك .

[ صل أيَّ بحَّار كان ، لماذا تطوَّف فوق البحر ، أجابك كما أشاهد بلداناً جديدة ]  
لأن المدينة ذاتها لا تستهويهم .

\*\*\*

وهكذا ظلَّ الأدب العربي مفتقراً الى هذا الضرب من الأدب حتى مكن الله لهم في الأرض واضطروا تحت تأثير عوامل دفاعية في أول الامر الى بناء أسطوهم البحري ولم يتم ذلك إلا في عهد معاوية ، ذلك لأن معاوية طلب من الخليفة عمر بن الخطاب السماح له بإنشاء أسطول بحري يرد به عدوان أسطول الروم عن السواحل الشامية ، إذ كان الروم يغزون البلدة الساحلية بحراً ثم يوغلون في البحر بعد إسرافهم في أهلها قتلاً وإيغالهم في رزقها



نهباً ، ويقف جيش معاوية أمام هذا العدو الذي لا سبيل إلى متارعة إلا بنفس سلاحه ،  
فيقرر معاوية انشاء أسطول بحري .

\*\*\*

بدأ طلب انشاء الاسطول العربي البحري في عهد معاوية إبان كان والياً ، فدرس الخليفة  
عمر الطلب ، فارتأى معرفة رأي عمرو بن العاص والي مصر في ذلك الحين ، فلما عرف عمرو  
ابن العاص أن معاوية سيضيف قوة بحرية إلى قوته البرية ، خوفاً الخليفة عمر بن الخطاب  
من البحر ، برسالة تعدد من أروع رسائل أدب البحر عند العرب ، لما كان من الخليفة إلا  
أن قال ( لا تجمعوا بيني وبين المسلمين بحراً ) .

ولكن تطوّر العرب التاريخي الناهض ، كان يسير بسرعة فائقة ، بحيث لم يكن في  
مقدور أية قوة في العالم وقف زحفه ، فقد دخلت الامبراطورية العربية في عهد جديد ،  
بعد تقلد معاوية الخلافة ، إذ دخلت في عهد الامتداد ، ومثل هذا يتطلب لا حماية السواحل  
العربية فحسب ، بل انشاء السفن التي تحمي هذه السواحل وتغير على بلاد الأعداء أيضاً .  
وكان أول أسطول عربي أسطول ( الأمير عبد الله الفزاري ) وكان شعاره ( الغمرات  
ينجلينا ) ، ولما كان معاوية يدرك موقف العرب من البحر وكرهم له ، لم يشأ حملهم بالقصر  
على الجهاد في غمراته بل جعله موقفاً على المتطوعين الذين ينهدون اليه من تلقاء أنفسهم . وقد  
كان معاوية من الذكاء بحيث أنه ضاعف أعطيات هذا النفر من الناس الأشاوس ، ولما كانت  
البلاد الشامية على اتصال وثيق بالبحر منذ العهد الفنيقي ، لذلك نهدت الشام إلى إعداد  
الأسطول ، معدة إياه من أرز لبنان العظيم .

لم يكد الأسطول العربي يجهز ، حتى علم معاوية بغارة بحرية على سواحله ، فأرسل  
أسطوله في إثره ، وهو أسطول صغير يعوزه التدريب البحري ، ومع هذا فقد هزم  
أسطول الروم ، وبذلك كشف العرب غوار الروم البحري ، وأدركوا أنهم ليسوا في البحر  
أمنع منهم في البر ، وهكذا راحوا يغيرون على سواحل الأعداء تحت قيادة ( الفزاري )  
غير حافلين بأعباء البحر ، ولكن ( الفزاري ) مات ميتة ماجة وهو في الخامسة والعشرين  
من عمره ، فقد تنكّر ونزل إلى مدينة رومية تقوم على رابية حتى يتسنى له ، وهو أمير البحر



معرفة مواضع الضعف في المدينة ومهاجمتها ، غير أن سوء حفظه دفعه الى افتتاح أمره ، فقد عرفته امرأة رومية بالرغم من تنكره الشديد ، إذ سبق له أن أغار على بلدها ، فأغرت به الأهلين وتصايحوا من كل حذب وصوب ، ثم تألبوا على الأمير العربي الشاب ، الذي ظل يحارب حتى مرقته السيوف والرماح ، بعد أن قتل من الأعداء مقتلة عظيمة .

من هنا يتضح لنا أنه بظهور الأسطول العربي ظهر الى جانبه تاريخه ، فلهجوم على القسطنطينية برًا وبحرًا هو جماع تحف وصفية عن معارك البحر نطالها منشورة في كتب ( الطبري والمسعودي وابن قتيبة ) وخاصة فيما يطلق عليه اسم ( المغازي والفتوح ) ، ولكن ما كتب هؤلاء لا يعدو التاريخ ، إذ ظل ينقصه ذلك الشيء الوجداني الذي يتطلبه الأدب . كان البحر عند العرب في أول الأمر ، مركب دفاع عن السواحل ثم تطور الى مركب هجوم ، ولما أثرى العرب بدأ الفن يعمل عمله في حياة العرب البحرية ، ذلك لأن الإنسان لا يقنع بالطبيعة ، بل يعتمد الى الفن ليضاعف به الحياة ، ومن هنا نشأت الزخرفة في الأسطول العربي وأدب البحر عند العرب وعند الفرنجة .

\*\*\*

قضي على الدولة الأموية في الشرق فقامت دولة أموية أخرى في الغرب ، وكانت هذه الدولة أكثر عناية بالأسطول من كل دولة عربية أخرى فقد كان عليها أن تصد عادية الفرنجة كما كان عليها أن تصد عادية ( العبيدين ) فكانت المعارك بين الطرفين مطردة مستمرة ، وبالرغم من هذا التناحر القائم بين أبناء القوم الواحد فقد تمكن العرب من بسط سلطانهم على البحر المتوسط والامتلاء على قسم كبير من سواحل وجزره ( الاستراتيجية ) بحيث نستطيع القول أن العرب في القرون الوسطى كانوا على حق إذا قالوا عن البحر المتوسط : هو بحرنا .

ولما كان الظفر يقابل عادة بالبهجة فقد تأثر الشعراء العرب به وصاغوه شعراً ثم اندفعوا الى أبعد من هذا الحد فوصفوا البحر وصفاً فنياً ، وكان على رأس هؤلاء الشعراء : ( ابن هاني الأندلسي وعلي بن محمد الأيادي التونسي وابن فليس الأمازيغي وابن حمديس ... )



كان الواحد من هؤلاء الشعراء إذا طرق باب أدب البحر وحاول وصف السفن قال عنها :  
( رب جوارٍ منشئاتٍ طوائرٍ بين السماء والماء ،

إذا نشرت أجنحتها روض ونور ،

فهي ذات هذب من المجاذيف خال ،

وهي في نفس الوقت هذب باكٍ لدمعه اسعاد

غير أن هذه السفن الجارية على البحار

تحمّل فوقها حمم شواظها من لهب ،

فكل من ترسل إليه يغدو رماداً

السكامة على ظهورها وبطونها دائماً وأبداً حذرين

وإذا انطلقت كان انطلاق السحاب المنطق ،

والعجب العجيب في أمرها أن يحمل الأسد الضواري زورق .

والذي أروع من هذا أنها ذات زئير وهي صوامت ،

وتزحف زحف موكب في زورق ، فهي ترمي بروج إذا ظهرت للعدو ، وبنفط

يخاله الانسان ماء يذكي السكان .

وهي شواني طائفة ومدن بنيت على الماء ،

ذات بروج شاهقة تقذف بالحجم ) .

\*\*\*

هذه نتف منثورة من أدب البحر عند العرب ، لم يقتصر أمرها على أدب الأندلسيين والفاطميين وغيرهم من سكان شمالي أفريقيا ، بل شمل وحي البحر العباسيين أيضاً ، فقد كانت سفن الأسطول العباسي مثل سائر سفن الأساطيل في القرون الخالية ، أي أنها كانت تجارية وحرية في وقت واحد ، إذ لم يتم التفريق بينهما إلا في عهد ( هنري الثاني ) لذلك كان على الذي يرتاد البحار أن يكون مغامراً ، ومن هنا نشأت تلك الأقاصيص العظيمة الرائعة عن ( السندباد ) وغير السندباد . وكانت قصة ( الف ليلة وليلة ) تؤلف جزءاً غير يسير من أدب البحر .



ولكن الغرب إذا أبدع محمد بن هاني الأندلسي فقد أبدع الشرق النواصي هذا الشاعر الذي وصف سفينة الأمين ، وهي تشق غباب دجلة ، وقد نحتت على شكل أسد ، والأهلون مصطفون على الضفتين يشاهدون هذا الموكب الرائع حيث القتيان تغني فوق السفينة .

\*\*\*

ويقول صاحب الأغاني إن الخلفاء العباسيين ألقوا البحر وأحبوه ، فكانوا يركبون دجلة ويقضون فوق مائه ممرم وأنسهم ، حتى أن الأمين كان لا يسمع غناء الملاحين إلا في الزلاات الفخمة الأنيقة .

\*\*\*

حيال كل ما تقدم لا يسعنا إلا التساؤل :  
أيقوم أدب أمة بدون أدب بحر ؟  
لا ريب أن الجواب على هذا السؤال يرجع الى عاملين خطرين :  
الاول : مركز البلاد الجغرافي وقربه وبعده من البحر .  
الثاني : حضارة الامة وامتداد سلطاتها .

فالمرکز الجغرافي البحري يساعد مساعدة تامة على بعث ادب البحر ، وقد ينطبع عصر بكامله بطابع هذا الأدب كما كان الحال في انكلترا إبان القرن الثامن عشر ، والحضارة وامتدادها من شأنهما خلق شرائط اجتماعية أقل ما يقال فيها إنها توحى بأشياء غنية موفورة ، فالشاعر المعاصر ( مايستفيلد ) لا يصور أدب البحر تصوير القدماء ، بل يصوره تصويراً نفسياً يخاطبه ويتحدث إليه ، ويناجيه ويبنه شكواه . وهكذا تمتد ذات الشاعر الوجدانية كلما تقدمت الحضارة ، لأن الحضارة في جوهرها امتداد لفردية الانسان ، والشاعر وحده أكثر الناس تصويراً لهذا الامتداد .



## المتنبى

شغل الناس في كل عصر

في (نقح الطيب) :

«تباحث المعتمد بن عباد مرة مع الجلساء في بيت المتنبى الذي زعم أنه أمير شعره :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وياض الصبح يغري بي  
فقال : ما قصر في مقابلة كل لفظة بضدها إلا أن فيه نقداً خفياً  
ففكروا فيه ، فلما فكروا قالوا له : ما وقفنا على شيء . فقال : الليل  
لا يطابق إلا بالنهار ، ولا يطابق بالصبح ، لأن الليل كُلي والصبح  
جزئي . فتعجب الحاضرون ، وأثنوا على تدقيق انتقاده .

قال الصفدي : ليس هذا بنقد صحيح ، والصواب مع أبي الطيب  
لأنه قال ( أزورهم وسواد الليل يشفع لي ) فهذا محب يزور أحبابه في  
سواد الليل خوفاً ممن يشي به ، فإذا لاح الصبح أغرى به الوشاة ،  
ودل عليه أهل النعمة ، والصبح أول ما يغري به قبل النهار ، وعادة  
الزائر المريب أن يزور ليلاً ، وينصرف عند انفجار الصبح خوفاً من  
الرقباء ، ولم تجر العادة أن الخائف يتلبث إلى أن يتوضح النهار ، ويمتلئ  
الافق نوراً . فذكر الصبح هنا أولى من ذكر النهار .

قلت : كان يختلج في صدري ضعف ما قال الصفدي حتى وقفت على  
ما كتبه البدر البشتكي ومن خطه نقلت ما صورته : هو ما انتقد عليه



المعنى إنما انتقد عليه مطابقة الليل بالصبح ، فإن ذلك فاسد . فخدمت الله  
على هذه الموافقة .

قلت : يقول ابن رشيق في ( العمدة في صناعة الشعر وتقدمه ) :  
« ... ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس ... » .

والمتنبي يقول :

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراحها ويختصم  
( شواردها ) قصائده السائرة في البلاد ( جراحها ) من أجلها .  
في ( الإيجاز والاعجاز ) للشعالبي :

« كان أبو بكر الخوارزمي يقول : أمير الشعراء العصريين  
أبو الطيب ، وأمير شعره قصيدته التي أولها ( مَنْ الجاذر في زي  
الاعراب ) وأمير هذه القصيدة قوله ( أزورهم ) البيت » .

قلت : قد يرى غير الخوارزمي أن أمير شعره قصيدته ( على قدر  
أهل العزم ) وأمير الأمراء ... بيته ( ومن نكد الدنيا )  
في ( الصبح المتنبي ) :

« قال أبو علي الفارسي : قيل للمتنبي : على من تنبأت ؟  
قال على الشعراء

فقيل لكل نبي معجزة ، فما معجزتك ؟  
قال هذا البيت :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له ، ما من صداقته بد

السهرمي



## الرأي العام الاجتماعي

ليس فيما نشره الأستاذ سلامة موسى في المقتطف عن الرأي الاجتماعي ولا فيما ردَّ به عليه الأستاذ محمد الديب، تحديد للرأي العام أو للرأي الاجتماعي أو تعريف لهما. ولكي يعلم القارئ ماذا يريد كل منهما بالرأين أو بأحدهما إذا كانا يعنيان معنى واحداً، أرجو أن لا أكون متطفاً أو فضولياً إذا استأذنتهما أن أقول كلمة في هذا الموضوع، فإن لم ترق لهما أو للقراء فليعرضوا عنهما كما يعرضون عن كثير من كتابات الكتاب التي لا تصادف استحساناً عاماً.

الرأي العام أو الرأي الاجتماعي قول مبهم بعض الإبهام كما سيظهر في سياق هذا البحث. لا يخفى أن أكثر العموميات كالشعور المشترك والرغبات العامة والاحساس الأدبي والرأي المنتشر وإرادة الأمة أو الجمهور ونحو ذلك، إنما هي عناصر «العقل الاجتماعي» أو «التفكير الاجتماعي». وهو معلوم أن نتيجة الاجتماع الأولي هي نشوء العقل الفردي ثم تطوره. والنتيجة الثانية نشوء العقل الاجتماعي أو العقل العام.

العقل العام هو أن يشترك الجماعة في تفكير واحد ويتلقوا أو يعلموا معرفة واحدة، ويتفقوا من غير تواطؤ اتفاقاً واحداً في الآداب والعقائد والعادات، ويمضوا جميعاً تحت تأثير قوانين واحدة. وبموجب هذا التوحيد يسلكون سلوكاً واحداً في عمومياتهم من غير تعمُّل أو تصنع.

ولا يجوز الخلط بين «العقل الاجتماعي» و«الوعي الاجتماعي» الدارج على أقلام الكتاب في هذه الأيام. فهم يعنون «بالوعي» الوجدان. وماهما بمعنى واحد. فما الوعي إلا حفظ الشيء مادياً كان أو عقلياً. والوجدان أشمل وأعمق وأعم من العقل، فهو إدراك الإنسان نفسه وإدراك أنه يدرك وإدراك أن مدركاته الباطنة والظاهرة صادرة منه. فلا يصلح لفظ الوجدان «لوجدان الاجتماعي». ولا زرى أن للاجتماع وجداناً إلا في الجماعات.



العريقة في التفكير كالجُمُعيات السياسية والعلمية ، ونحوها ومع ذلك يكون وجدانها ضئيلاً .  
دعنا ضمن دائرة « العقل الاجتماعي » : الرأي العام الاجتماعي بوسع معناه واطلاقه هو  
من مواليد العقل الاجتماعي . فاذا شرّحناه تشریحاً عقلياً اجتماعياً لا نجد رأياً اجتماعياً  
عاماً بتاتاً . بل نجد رأياً اجتماعياً خاصاً لا عاماً .

كل ما اصطُح عليه القوم أو معظمهم من عادات وعقائد وآداب ومعاملات نسميه رأياً  
اجتماعياً عامّاً على ان كثيراً من هذه المصطلحات متقدمة العهد كالعقائد الدينية أو القوانين  
المدنية أو الآداب العمومية فنسميها تقاليد Traditions ونحسبها آراء عمومية ولا داعي  
لنعتها « بالاجتماعية » مع نعتها بالعمومية لأنه لا يكون الرأي عمومياً إلا وهو اجتماعي .  
وكما كانت متقدمة الزمن كانت تقاليد مستحجرة أي انه يتعذر نقضها أو تنقيحها بل يكاد  
يستحيل . وإذا نشأت الى جانبها عقيدة جديدة أو عادة حديثة وارده من خارج البلاد حدث  
بينهما صدام ونزاع قد يؤدي الى حرب . والغالب ان القديم المستحجر ينتصر في النزاع .  
كم مرّ من ألوف السنين على أديان المصريين القدماء . فما تقلقت إلا بعد أن طغى على البلاد  
الغزاة الأجانب من الغرب من اغريق ورومان .

وكم مرّ على اليهودية من مئات السنين وكما هاجتها العقائد الجديدة النصرانية والاسلام  
فضوّلت ولكنها لم تزل باقية متمسكة بقديمها .

واكتشف منذ مئات من السنين أن الحساب الشمسي مغلوط وبقي معمولاً به لأنه  
تقليد قديم الى أن تجرّأ أحد أخبار النصارى وصحّحه وأجرى التصحيح بسلطة تقليد أقوى  
منه وهي السلطة الدينية . جرت عليه الكنائس الغربية الكاثوليكية والبروتستانتية وبقيت  
الكنائس الشرقية الارثوذكسية مصرّة على الحساب القديم المغلوط مئات من السنين وما قبله  
بعضها إلا حديثاً .

كانت العمامة غطاء الرأس عند الأتراك وقد أخذوها من العرب . فلما اتصلوا بالاغريق أخذ  
السلطين الطربوش عنهم فأخذه معظم الشعب العثماني من قبيل تشبه الشعب بحكامه . ولكن  
جانباً كبيراً منهم لا يزالون يعمّمون الى اليوم . وبقي الطربوش شعار العثمانية حتى الآن  
على الرغم من أن الاغريق نبذوه . وبقي هذا الميراث الاغريقي عندنا في مصر والشام على



الرغم من أن الأتراك نبذوه مكرهين بحكم الحاكم بأمره مصطفى كمال الذي اتخذ اتاتورك اسماً له نابذاً الاسم العربي كرهاً في كل ما هو عربي.

وعلى الرغم من أن مصطفى كمال أمر بقوة استبداده أن تكتب التركية بالحرف اللاتيني لا يزال الأتراك يثنون استهجاناً لهذا الحرف الذي لا يلائم لغتهم لأنها تحتوي على ٦٥ في المئة من الكلمات العربية وأكثر اشتقاقاتها عربية أيضاً فيفضل أن يكون حرفها عربياً. ونحن كلما هممنا أن نبذ الطربوش لأنه أقل صلاحية من القبعة في هجير الصيف نكسنا إلى الوراء لأن التقليد القديم مستحجر لا يلين لمكسر.

وهناك ألف شاهد وشاهد على أن التقاليد كلما تقاربت تحجرت وصعب جداً تنقيحها بما هو أفضل منها أو تعديلها بمقتضى تطور البيئة الاجتماعية.

انظر إلى لغتنا العربية كم عبر عليها من الأجيال والقرون فتطورت ببطء كلي على مدى

هذه الأحقاب، حتى أنها لم تبعد كثيراً عن شقيقتيها السريانية والعبرية، مع أنك لا تكاد تفهم الآن كثيراً من أشعار الجاهلية والموغلين في قدمها. ومع ذلك لا تقدر الآن أن تنقح شيئاً من صرفها أو نحوها مما يخالف المعقول والاقتصاد في التعبير والقراءة والكتابة والزمان. فما زلت لا تجسر أن تنصب جمع المؤنث السالم بالفتحة قياساً على قاعدة النصب العامة بل يجب أن تنصبه بالكسرة وإلا كفرت باللغة. ولا تجرؤ أن تجر الاسم الممنوع من الصرف بالكسرة حسب قاعدة الجر العمومية، بل يجب أن تجره بالفتحة كإبراهيم مثلاً. لماذا هذا وذاك! لا تدري. وإن أعطيت سبباً كان تمحلاً لا يسوغ هذا الاستهجان. وقس على ذلك كثيراً من قواعد اللغة التي لا تنطبق على منطق سليم ولا هي من المحامن والمحامد بل بالعكس هي من المستنفرات كالمستشزرات. فنهنا نون التوكيد المشددة والخففة التي تضع عقل الطالب لتتوَع قواعدهما ولا لزوم لها مع وجود أساليب أخرى للتوكيد المنوع للذهن مثل إن واللام والقسم.

ومن هذا القبيل قواعد النسبة التي لا تركز على أساس. وقاعدة فعول وفعل وقاعدة تخالف العدد والمعدود إلى غير ذلك مما لا يحصى من عيوب قواعد اللغة التي لا يمكن أن تحفظ وتستذكر وليس فيها تسهيل للكلام وفهم الكلام. كل هذه تقاليد مستحجرة.



هذا هو الرأي العام اليابس الصلب الأصم الذي لا تستطيع أن تعارضه أو تقاومه .  
فأتركه للزمن يعمل فيه عمله .

هذه التقاليد المستحجرة التي لا تعد ولا تحصى هي آراء عامة تسلسلت إلينا من الأزمنة المتقدمة ولا ريب أنها تطورت ببطء كلي بمقتضى سنة التطور . عانت كثيراً في تطورها أو ان ذوبها عانوا جداً في تطويعها بمقتضى تطورات الزمن . وكان كلما أصبح تقليد غير صالح للزمن قام أناس يرتئون تنقيحه فلقوا من أهله عنتاً واضطهاداً يصدهم عنه . ولذلك كانوا يستفزون أنصاراً لهم بالاعتناق والدعاية ومع ذلك قد ضحوا في سبيل دعوتهم . فیسوع صلب ، ومحمد اضطهده قومه ، وسقراط مسممه قومه ، وغاليليو طاقبوه ، ولولا إذهابه مكرهاً لقتلوه . كل يوم يجد القوم عقيدة قديمة لم تعد صالحة لزمهم فيهبون لتعديلها أو تنقيحها أو نبذها وإبدال غيرها بها . فيكون تجددهم رأياً جديداً . لا يصح أن نسميه رأياً عاماً لأن هناك أنصاراً للقديم يقومون ضدهم . هذا هو منشأ الأحزاب . ومتى قلت «أحزاب» «فلا تقل» رأي عام . لأن التحزب يعني انقسام الآراء وتضادها وتعديدها .

الرأي الذي يصح أن يسمى رأياً عاماً يشترك فيه سواد القوم هو التقليد القديم المستحجر . الإسلام هو رأي عام . النصرانية هي رأي عام . كذلك البنطلون والسترة والقبعة رأي عام . الخلق الأدبي أو الأدب الخلق الذي تتخلق به أمة من الأمم هو رأي عام . تناول الطعام بأصابع اليد عند البدو هو رأي عام .

ومتى قامت إلى جانب كل عقيدة أو عادة أو أي تقليد قديم بدعة جديدة تنازعه مقامه يأخذ ذلك القديم يتداعى ويضعف الرأي فيه ، كلما استفحلت البدعة الجديدة . هكذا البروتستنتية تجاه الكنيسة . الحكم الملكي المطلق رأي عام كان واسع الانتشار . فلما قامت الديمقراطية إلى جنبه صار يتداعى ونشأت آراء اجتماعية جديدة . فالرأي العام هنا تقلص أو بالأحرى تفكك إلى آراء متعارضة لم يبق رأي يقال إنه رأي عام . متى تفككت التقليد المستحجر أفل الرأي العام . ونشأت آراء غير عامة . فالرأي العام بكل معنى الكلمة غير موجود . التقليد القديم المستحجر هو الرأي العام الأثري المحفوظ في المتحف الاجتماعي كفي ما تقدم من تبيان حقيقة الرأي الاجتماعي العام . فلنعطف الآن إلى الرأي الاجتماعي



غير العام وهو ما أظن أن الأستاذ سلامة موسى والأستاذ محمد الديب يعنيانه . وهذا أيضاً غير موجود بتمام معناه . لأن سواد الأمة لا يعرفه وإن كان يدّعيه . عندنا الآن رأي اجتماعي ويمكنك أن تسميه عامّاً أيضاً . وهو رأي « الأماي القومية » يمكنك أن تقول لي إن جميع أفراد الأمة يدّعون هذا الرأي كما يدّعون الاسلام مثلاً أو الحكم النيابي أو قدسية مناسك الحج . ولكن هل يمكنك أن تقول لي كم واحد في الأمة من السبعة عشر مليوناً يفهمون ما هي هذه الأماي القومية ؟ وهل الذين يفهمونها يتفقون على معانيها ونصوصها ؟ وهل هم متفقون على كيفية تحصيلها ؟ لعلّ واحداً في الألف يفهمون هذه الأماي . وواحداً في المئة ألف يتفقون على صيغتها ، وواحداً في المليون لهم أساليب مختلفة في كيفية تحصيلها . فالنظر إذاً كم حزب في رأي الأماي القومية . بل كم رأي تفرّع من هذا الرأي . وكم عدد المنتمين لأي رأي فيها . فأين هو الرأي الاجتماعي ( العام أو غير العام ) في هذه المسألة أو في غيرها .

هنا تقول لي نلجأ الى استفتاء الأمة عن طريق مجلس النواب عن أي الآراء أصح أو هو المطلوب دون سواه ، على اعتقاد أن الأمة كلها متعانة ومتنوّرة كالامة الاميركية مثلاً .

نعني اننا نعود الى اشتراط شرطي الأستاذ سلامة موسى للحصول على رأي أكثرية الأمة أي أن يكون أفراد الأمة جميعاً قادرين على تحصيل الثقافة الكافية للحكم بين الجيد والسيء . وثانياً أن تكون لهم حرية الكلام في اختيار الرأي الذي يستحسنونه . جميع الامم العربية ( ولا يهمنا غيرها ) غير حاصلة على أي شرط من هذين الشرطين لا المعرفة ولا الحرية . لأن النظام الديموقراطي عندنا صوري لا حقيقة له اسبيين : أولاً لأن الجهل يسود الجانب الأكبر من هذه الأمم ، وثانياً لأن الأخلاق ضعيفة جداً . وكلا العيبين مستفحلٌ والله أعلم بالوسيلة الناجعة في علاجهما .

حتى في البلاد الراقية ثقافة وأخلاقاً لا تضمن وجود رأي اجتماعي عام تحسبه هو رأي الأغلبية الساحقة حتى ولا رأي الاكثرية لكي تسميه تجوزاً رأياً عامّاً . لأن هناك عوامل كثيرة تفسد الرأي العام الاجتماعي وتنقض الحرية . كفي بالقوة الرأسمالية إفساداً وقتلاً للحرية . وأخيراً أرجو المَعذرة من حضرة الكاتبين الاديبين اذا كان في مقالتي ما لا يروق لهما .



# صيرورة سوريا

## في التفكير السوري

في هذه الحقبة من التاريخ التي أُلقي فيها السلاح ، وأقمرت الميادين من الجنود ، وخلا الفضاء من الطائرات ، وسكت المدفع ، وانتزعت الأمانة الكبرى من عنق الجندي ووضعت في عنق دهاقين السياسة ورجال الفكر ، في هذه الحقبة من التاريخ التي تهتم فيها الأمم بمصائرنا ، وتسعى سعياً حثيثاً للفوز بتسوية مشاكلها الداخلية والخارجية ، ما هو المصير الذي نهدف اليه نحن السوريين المنتشرين في جميع بقاع الوطن السوري الطبيعي ، بعدما نالت بعض أجزاء وطننا استقلالاً سياسياً نسبياً وانخرطت في مؤسسة شبيهة دولية هي « جامعة الدول العربية » وساهمت في عضوية « جامعة الأمم المتحدة » ؟ اننا قطعنا شوطاً بعيداً في مضمار الاستقلال السياسي مهما يُقَل في الأسباب التي أدت الى هذا الاستقلال ، ومهما يُعزَّز من الفضل الى الظروف المواتية والملابسات السياسية التي أسفرت عن هذا الاستقلال .

من الطبيعي والمألوف أن يقع اختلاف في الرأي بين أبناء الوطن الواحد حول قضية أو نظرية في شئون الاقتصاد أو الاجتماع أو أنظمة الحكم أو شكل الحكومة ، أو شئون العمل وحقوق العمال وما شابه ذلك . وكثيراً ما يكون الاختلاف محمود العاقبة في مثل هذه الأحوال . لكن السوريين تضاربت آراؤهم حول الوطن وحدوده ومقوماته الجغرافية والتاريخية والقومية . هناك من يعتقد أن الوطن السوري ، بوصفه الطبيعي ، ليس كلاً قائماً بذاته ضمن الإطار العربي ، وليس له مقومات ذاتية البتة ، بل يراه جزءاً لا يتجزأ من إمبراطورية عربية مترامية الأطراف تمتد من الخليج الفارسي شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً . فسوريا جزء من هذا الوطن الضخم كما أن حياً من الأحياء في مدينة جزء من تلك المدينة . وكذلك قل عن مصر والعراق والحجاز ... وغيرها من الأقطار العربية الاسان ويعتبرون



جميع الشعوب التي تقطن هذه الأقطار تؤلف أمة واحدة لها جميع المقومات الجغرافية والتاريخية والأثنولوجية بالإضافة الى التراث الديني ، وان تعددت مذاهبه وتنوعت فرقته ، والتراث اللغوي وان اختلفت لهجاته وتلوّنت ثماره . فجامعة الدول العربية التي اتخذت عنها الحرب الأخيرة ينظر اليها السوريون نظرتين جدّ مختلفتين : فالغلاة منهم يرون فيها نواة صالحة لنشوء الدولة الواحدة ، يشمل سلطانها وقوانينها وأنظمتها جميع الأمم العربية اللسان . وفريق آخر يراها خطوة محمودة ، جليلة الفائدة ، عظيمة الخير نحو اتحاد عربي أقوى وأمنع وأبعد مرمى ، يجعل من أقطار العالم العربي المتضامنة حصناً منيعاً يقيها شرور المطامع الأجنبية الاستعمارية ، دون أن يزيل الاستقلال الذي يتمتع به كل قطر من أقطار الأسرة العربية . وأصحاب هذا الرأي لا يعزب عن فكرهم ثقل الروابط السياسية الدولية وقوتها وجشع الاستعمار الذي يسعى جاهداً ليحول دون تحقيق تلك الأمنية الحلوة .

مما لا مشاحة فيه ، ان العالم العربي في حالته الراهنة ليس أمة واحدة استوفت جميع الشروط والخصائص التي تكون الأمم ، بل هي مجموعة أقطار مختلفة ، تتخللها حواجز طبيعية ، يقطنها أقوام اختلفت أجناسهم وميزاتهم وخصائصهم النفسية والفكرية وغير ذلك من الفوارق الاجتماعية والجسدية . بيد أن سكان هذه الأقطار يكادون يجمعون على الإيمان بدين واحد ويتكلمون لغة واحدة . فهل يحقق العلم الواحد فوق كل بقعة ير فيها اللسان وتنتشر فيها العقيدة الدينية ؟ أي هل تتمدد الدولة بقدر ما تنتشر اللغة والدين ، وأن الأمة تتبع الدولة في حال تقلصها وامتداد نفوذها ؟ اننا بذلك نخرج الأمة عن المصطلح العالمي لنجعلها غير خاضعة لتعريف على الاطلاق . فالعالم العربي اليوم يتكوّن من أمم عربية تقطن شبه الجزيرة العربية ، وأمم مستعربة تقطن خارج شبه الجزيرة العربية . ولا تختلف العلاقة بين الأولى والثانية عن العلاقة القائمة بين الأمة الانجليزية مثلاً والأميراطورية البريطانية . فالأمة الانجليزية هي مجموعة أفراد الشعب الذي يعيش فوق الجزر البريطانية منذ أقدم العصور حتى الآن : وانها في اتساعها وتضخمها ونموها لم تشمل وتتمثل جميع الشعوب التي تخضع لها والتي تربطها بالتاج البريطاني علاقات سياسية أو لغوية أو دينية أو استعمارية .



ويقيني، أن الباعث الذي يحدو ببعض السوريين إلى نشدان دولة لا تنحسر حدودها عن الترخوم التي بلغتها أمواج الفتح العربي عند ما انطلق العرب من جزيرتهم في القرن السابع للميلاد لغزو العالم، هو أن أمبراطورية إسلامية عربية طاشت ردهاً من الزمن وبسببت سلطانها على هذه الأقطار جملة، فلماذا لم يعد في الامكان في هذا العصر السعي لتكوين دولة أخرى على غرارها؟ ووجه الخطأ في هذه النظرية الاجتماعية التاريخية النفسية هي أنها تستوحي ذلك المبدأ الفاسد الذي يزعم أن التاريخ يعيد نفسه. فالتاريخ لا يعيد نفسه كما يعاد النظر في التحارب العلمية مهما تغيرت الأزمنة والامكنة. والنقطة الجوهرية التي لم يفتن إليها دعاة الأمبراطورية العربية من السوريين هي أن اتحاد هذه الأقطار لم يكن تلقائياً، بل كان ثمرة الفتوحات، وأن شعباً باسلاً طموحاً، ليس لطموحه حد، اكتسح هذه الأقطار وأزال عنها ظل شعوب أعرق منه في الملك. فأين لنا تلك القوة العسكرية والعزم القوي والایمان المتوهج بالحق في الحياة حتى نبلغ ما بلغه العرب القدامى؟ ولنا أن نسأل: «هل من الخير أن تتنازل جميع الأقطار العربية عن استقلالها الذاتي وتندغم جميعها في دولة واحدة؟ وإذا قدر لهذه الوحدة السياسية أن تتحقق، فأين عسى يكون مركزها، وكيف يكون شكل الحكم فيها، ومن عساه أن يكون ذلك الملك أو الرئيس أو ما شئت من الألقاب والرتب؟ أرى يومئذ أن سكان العالم العربي سينصرفون عن الكفاح ضد الاستعمار ويتكبدون سبل الرقي والحضارة، ليلهموا بسياسة العروش ويجعلوا من أنفسهم بخوراً يحرق في بحيرة الأنانية والمآرب».

إنه كفر بحق العرب والعروبة أن نضع نصب أعيننا الممالك التي دوّخوها والعروش التي ثلوها ونبكي ملكاً مضاعاً ونصم الآذان بمفاخرهم وأمجادهم ونأبى أن نلقح أنفسنا بذلك العزم البكر والبطولة الأسطورية التي ظفرت بالمجد والكرامة والخلود. إنه غرور أن تتخيل إمبراطورية شاسعة وبلادنا مجزأة، مقطعة الأوصال والأجنبي جاثم على صدرنا ولا حول لنا ولا طول. إنه تهرب من الواقع وجريمة بحق سوريا أن نسقنكف عن النظر إلى القيود التي تكبلنا والخواجز المصطنعة التي قضت بها الشهوات الاستعمارية الطامحة إلى النفوذ والاستغلال والسيطرة. إنه ضعف وانحطاط أن لانجعل مخيلاتنا إلا بالامبراطوريات ونحن



لا تزال مضطرين إلى قوة تصون استقلالنا وترعى وحدة وطننا وتقضي على النزعات الإقليمية التي ترتكز على أصول مذهبية أو عنصرية أو لغوية .

وفي الزمن الذي تصرّت فيه الحبال بين الدين والعلم ، والدين والسياسة في سائر البلاد المتمدنة الراقية ، سواء كان الباعث على ذلك مقتاً للدين واعتباره عقبة كئوداً يجب إزالتها كي يتسنى للمواكب البشرية أن تسير سيراً مطرداً بدون تلمكؤ ، أو حرصاً على الدين وخصايته من أدران الدنيا وإعادته إلى الحقل الذي خلق ليعمل فيه ، في هذا العصر الذي قضي فيه على الدين أن يقصر عمله على شؤون الروح ويتخلى عن شؤون الدنيا من سياسة وغيرها ، نرى جماعة من السوريين العاملين في الحقل السياسي يفكرون تفكيراً لاهوتياً ويرون أنه لا بدّ من إقحام الدين ورجاله في شؤون السياسة . ويقولون ويؤمنون بالدولة الدينية ، ليتدرّجوا منها فيما بعد إلى القول والعمل في سبيل الجامعة الدينية . كان هذا الأمر ممكناً ومقبولاً عند ما كانت الفكرة الدينية وحدها مستولية على العقول والقلوب ، وكان الناس يؤمنون أن الملك ظلّ الله فوق الأرض . يرى الأستاذ إسماعيل مظهر ، رئيس تحرير هذه المجلة « إن الإسلام فكرة جامعة . أنه دين ودولة ، ومهما قيل اليوم بعكس ذلك ومهما حاول البعض أن يخرج عن الإسلام هذه الصفة . ومهما قيدت نظمات الحكم ، فسيظل الإسلام فكرة جامعة تجمع الدين والدولة في فكرة واحدة هي فكرة الدفاع عن المجموع الذي يستظل بظل الإسلام مهما تفرّقت فيه النحل واختلفت المذاهب وتباينت النزعات » .

إننا إذ نقول بوجود فصل الدين عن الدولة لا نتحدّى الدين في رسالته السماوية التهديبية ، ولا نعمل بوحي من الإلحاد يغمر أفئدتنا ، بل إننا نحدد تحديداً واضحاً الحقل الذي لا يجب أن يتعداه الدين كي لا يثير مشاكل وانتقادات . إن دمج الدين في الدولة أمرٌ ممكن في كل دولة تدين رعيتهما بدين واحد ، وليس ثمة ضرر عظيم ينشأ عندئذٍ من الجمع بين النظام الديني والديوي على صعيد واحد . لكن بلاداً ، كالأبلاد السورية مثلاً تضم أشتاتاً من الطوائف المتكتلة ، المتدابرة ، المتطاحنة ، المتنازعة . كيف تستطيع أن تحيا بهناء في ظل نظام يستنزل أعماله من معتقدات طائفة معينة ، ويستضيء بنور عقيدتها المذهبية ؟ وهل تنظر بقية الطوائف بعين الرضى إلى الطائفة التي تقبواً مركز الحكم وتصبغ كل



أعمالها بصيغتها الدينية ؟ إن القول والعمل بالمبدأ الديني يذكّرنا أخلاقيات وما أكثرها ، ويوغران الصدور بالأحقاد وما أحدها ، ويدفعان إلى الدسّ وسوء الظن ، ويحدّوان بالطوائف الأخرى أن تتكثّر وتتراص وتعيش عيشة الغزالية لا تشاركها فيها طائفة أخرى ، وتتولد سدود وحواجز بين رغبات الأفراد الطبيعية في الاجتماع والحياة المشتركة في مختلف النواحي . وقد برهنت الأيام ودلت الوقائع على استحالة نشوء مجتمع بشري قوي على دعائم من التفرقة والتباغض والتناوب بدلاً من التآخي والمحبة والتعاون . وليس ثمة ضمان يكفل ديمومة الاتحاد القومي واطراد نموه ، يجمع عندما تتشتت الأهواء ، ويحزب حين تتوزّع الكلمة ، إلاّ نزع الحواجز بين الطوائف في كل بلاد تعاني شر التفرقة التي تنبثق عن الطائفية . لأنّ هدم الحواجز المصطنعة المزيفة المغايرة لقانون الطبيعة والحياة يؤدي إلى نشوء القربى ، واتصال الأرحام ، وانبلاج فجر المحبة والأخوة . ولا تقدر الحياة الطويلة المستقرّة القوية لاية دولة ترسو أصولها على الجامعة الدينية ، لأنها تحمل في طياتها عنصر الضعف والفناء . فالجامعة العربية ، مثلاً ، ينضوي تحت لوائها شعوب من أمم شتى ، اختلفت لغاتها ومنازعها وغاياتها ، وتباعدت بلدانها وتنافرت مصالحها وتباينت أذواقها وأفكارها فلا تقرر مبدأ واحداً ولا تتفق على السعي نحو غاية واحدة .

إننا استيقظنا من سباتنا الطويل منذ أمد قصير ، فهالنا التقدم الذي أحرزه الغرب المسيحي في جميع ميادين الحياة ووجدنا أنفسنا مكبلين بقيود قيدتنا بها دول مسيحية ، نحيل الينا أن سياسة الغرب قائمة على الرابطة الدينية لا النزعة القومية والمصالح المادية ، وإننا لا نستطيع أن نرفع الحيف وندفع الكيد إلاّ إذا تعلقنا بأهداب جامعة دينية . ويقيني أن البلاد العربية إذا عنّ لها أن تلوذ بالجامعة الاسلامية تهوّل بها على دول أوربا أو أميركا المسيحية لتدفع الظلم والسيطرة تشبه مروّض الثيران banderillero الذي يلوّح بمخرقته الحمراء كي يهيجها .

\*\*\*

أحقّاً ، التبتت علينا الأمور وتشابهت المسالك وتعذّر علينا أن نصيب شاكلة الصواب ؟  
نما يثلج الصدور ويبعث الأمل في النفوس ، أن فئة من السوريين الذين اتصلوا بالغرب ، وتنفقوا



بثقافته وفقهوا سرهوضه ورقيه وتقدمه بدأوا يفكرون تفكيراً قوياً ويعرضون الحلول القومية لمشاكلنا الخاصة . ومما لاجدال فيه ، أن القول والايان بالقوميات في العالم العربي في الآونة الحاضرة ، جرأة عظيمة ونهج جديد في مضمار الحياة . وعلة ذلك أن فكرة الوطن *patrie* لما تتبلور في أذهان السوريين كافة ، وأننا لم نعتد التفكير القومي الصحيح على نحو ما نرى في ديار الغرب . ويرى الكثيرون من أبناء العالم العربي أن نشوء القوميات في بقاعه آيات تفكك وضعف وانقسام كما ينقسم البيت على نفسه . وأن القول والعمل في سبيل أية قومية كانت ، سورية أو مصرية ، أو عراقية .... محاولة أئيمة ترمي إلى إخراج ذلك القطر من حظيرة العروبة والتنكر لها . وفي الحقيقة ، أن القول بالقومية السورية ، مثلاً لا يخرج سوريا من مجموعة البلدان العربية ، بل إنه يوضح شخصيتها ويميزها كما تتميز شخصية الأخ بين إخوته وأخواته . ولعل العالم العربي يفيد من هذه الأقطار وهي مستقلة استقلالاً ذاتياً وتحيا متعاضة ، متسا ندة ، أكثر مما لو كوّنت دولة واحدة . وهل الجرم جرمنا إذا استوحينا الواقع ، وفكرنا تفكيراً قومياً ، والطبيعة قد كوّنت أقطار العالم العربي تكويناً ذاتياً ، وفصلت بين قطر وآخر بحدود طبيعية منيعة ، فالجبال الشاهقة ، والوادي الشاسعة الواسعة التي ينعدم فيها العمران وأصباب الحياة ؟ ولقد أجاد الشاعر السوري إلياس فرحات إذ استطاع أن يعبر عن حدود سوريا الطبيعية بلغة شعرية :

موطني يمتد من بحر المياه      ممعناً شرقاً الى بحر الرمال  
بين طوروس وبين التيه تاه      بحمال فائق حدّ الجمال

وإن للحدود الجغرافية شأناً عظيماً في حياة الشعوب وخلق شخصية الأمة وميزاتها . إذ أن ضمن هذه الحدود يتم تفاعل الأقوام والجماعات ، ويسهل اندغامها ، وتتولد بين جزئياتها الروابط القومية الشديدة التي تنبثق عن الاتصال اليومي ، والاحتكاك الدائم ، والاشتراك العقلي في المصالح المادية المتشابهة . حقاً إن رقي المواصلات قلل من شأن الحدود الجغرافية ، ويسرّ سبل الاتصال ، وإن الأسلحة الحديثة مخرت من المعازل الطبيعية ، لكن كل وسائل العلم والرقى لا تقضي على شخصية المصري ولا تميم خصائص البيئة المصرية التي لن تنفك تمصّر كل من يستوطنها . فهام السوريون الذين نزحوا إلى مصر صوّلاً في القرن التاسع عشر أو في مطلع هذا القرن ، ماذا بقي لهم من خصائصهم السورية ؟ وإن كل وسائل



العلم والمدنية لا تمسخ مقومات السوري ومشخصاته ما دام يعيش فوق أرض سوريا . ثم إن مبدأ القومية السورية لا يرسو على وحدة الجنس والمميزات البدنية والسلالية بل على الواقع الاجتماعي في بيئة طبيعية . فهي تتجاوز النظرية السلالية التي ثبت بطلانها وفسادها والتي لا تتجلى إلا في الشعوب المنكشة في أوطانها ، المنطوية على نفسها . وما من شعب ساهم في بناء صرح المدنية استطاع أن يحافظ على نقاء دمه ، وأصبحنا اليوم نرى في امتزاج السلالات الراقية سبباً من أسباب نشوء العبقريات . يقول إميل لدشج في كتابه « الألمان » في معرض حديثه عن شارل-كان : « ليس الجمال أو الذكاء اللذان يهيرانك ، بل العرق . ولما كان دمه خليطاً من سبع أسر حاكمة عرقت فيه ، أصبح من الجلي أن الانسان يكرم عرقه إذا صاهمت في تكوينه سلالات كثيرة » فالقومية السورية ، كالقومية المصرية ، ترسبت خلال قرون عديدة من اتحاد الأقوام واحتكاك الجماعات التي هبطت سوريا واستوطنتها وتركت آثاراً متفاوتة . إن هذه النظرية تقضي على تفاخر العصبية السلالية التي تنخر جسم الأمة ، وتؤد تناكر المذاهب وتنازها ، وتستهدف خلق الروح التعاونية بين جميع الطبقات والأجناس . إن مبدأ القومية السورية ليس مجرد نظرية أو مذهب ، بل هو أقرب ما يكون إلى الثورة .

والغاية من السيادة القومية هي الحرية التي تستشعرها الأمة في انبعاث الأصاليب المثل لمعالجة المشاكل الناشئة ضمن حدود الوطن . لأن هذه المشاكل قد توجد في قطر وينعدم وجودها في قطر آخر ، وتتطلب صوغ قوانين تشريعية تناسب المرحلة من التطور التي بلغتها الأمة . وكثيراً ما تتنوع المشاكل وأنماط الحياة بنسبة قابلية الأمة للتفتح وتنوع التيارات الثقافية والسياسية والاجتماعية التي تمر بالأمة واختلاف البيئة الطبيعية والموقع الجغرافي . فهل يدور بخلد المصري : مثلاً ، إن الأمة السورية تشكو داء التفرقة الذي نشأ عن تعدد المذاهب وتناكرها وأنها تتعطش للاتحاد القومي الذي لا يتأتى إلا عندما تصبح الأمة السورية هيئة اجتماعية واحدة ؟ وهل يعلم الحجازي أننا نعاني شرّ رقبين كلاهما وليد الاقطاعية : أحدهما اجتماعي ، عشائري ، ربيب المظالم والمفاصد وآخر اقتصادي ، طبقي ، تحدر إلينا من العهد التركي ، وهو ثمرة طبيعية لحالة سياسية سيئة والحياة اقتصادية فاسدة ؟



ان طبقة قليلة العدد ، عظيمة الاهمية ، تملك معظم الاراضي السورية ، بينما توجد طبقة تؤلف الاكثرية الساحقة من أبناء الشعب تعيش على حساب الأخرى في حالة لا توصف من البؤس والجهل والهوان فباتت الفوارق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية عظيمة بين الطبقة التي أتممها الملك والطبقة المعدمة . ومن مساوئ هذه الحالة ، أنها تكون مصدراً للقلق والشكوى ، وسبباً لرجات اجتماعية فجائية ، وبيئة ممتازة لنمو مبادئ متطرفة كالشيوعية التي تلهب مخيلة الفلاح الساذج والعامل البسيط بما تعد من ألوان النعيم الذي تغذى به الأوهام وتتقاضى ثمنه الخافز الانساني والحرية في النهج في مضمار الحياة . ومن حق الفرد على الدولة الذي يعيش في كنفها ويؤلف جزءاً من كيانها ، أن تؤمن له سبل الحياة الهنيئة الشريفة . فهل يسعد المجتمع السوري ما دام النظام الاقطاعي الفاسد قائماً ؟ وهل تقوى أسرة الأمم العربية وتخلو من كل عيب إذا لم تفرغ كل منها للعناية بترقية أحوالها والاهتمام بأمورها الخاصة في جو من التعاطف والتعاون والتشاور والتسمع ؟ .

إن النبع إذا ما انبجس من الأرض غزيراً تعددت مجاريه وتشعبت ، وتعالى هديره ، وتكدر ماؤه ، وكثيراً ما يحرف التراب ويقتلع الأشجار والصخور . لكن لا بدّ لقياده من أن يسلس بعد شماسه ، ولمائه أن يصفو بعد كدره ، وأن يقل بعد طغيانه ، ويكثر خيره بعد ضرره . ومن خصائص الأمم التي تستيقظ بعد سبات ، وتنهض بعد كبوة ، وتحس ديب النهضة في مفاسلها كما تحس الحبل الجنين يتململ في أحشائها ، أن تتعدّد فيها المذاهب وتباين المعتقدات وتحترب الآراء . لكن الأيام والحوادث في غربلتها الدائمة للأفكار والعقائد لا تستبقي منها إلاّ الصالح ولا تدخر غير القادر على البقاء . إن هذه الأمم التي تنهض بعد عنارها تشاهد ركب الحضارة قد تقدّمها كثيراً ، فتحار في أمرها وتتساءل عن السبل التي تؤدي إلى اللحاق به . وعندئذ لا مفر لها من الوقوع في القلق والحيرة والاضطراب فهي لا تبغي التخلف عن الركب ، لكنها لا تنفك تتساءل عن أفضل الطرق المؤدية إلى الموكب الذي يسير في الطليعة . فلا بدع أن يرى القلق وتباين الآراء وتعدّد المذاهب تستجوز على عقول السوريين الذين بدأوا يدركون أن لهم في الحياة حقاً وأن للحضارة عليهم واجباً لا تتلذّأ في تقاضيه من الشعوب التي تبغي السؤدد والرفعة . ويجب



أن يكون القلق والاختلاف والتردد من أهم خصائص السوري . ولا شرف في ذلك ولا غضاظة . لأن هذه المساوىء المترسبة في أعماق نفسه هي ما ندعوه تركة التاريخ . والتاريخ تركة ثقيلة سيئة في نفوس السوريين قل أن يضاهيهم فيها شعب من شعوب الأرض . لأن شعباً يطوي قروناً تلو قرون ، خاضعاً للفاتحين ، تتسرب إلى نفسه سيئاتهم وحسناتهم ، وجهلهم وعلمهم ، وبرهم وشرهم ، كما تتسرب مياه الأمطار والسيول إلى طبقات الأرض وما تحمل من الطهارة والقذارة ، لا بد لهذا الشعب الذي أرهقته عوادي الزمان من أن تذهب خصائص رجولته ، وتضمحل مواهبه ، وتقل آثاره في متحف الحضارة ، وتبدد ما أثره في موكب الغزاة الفاتحين ، كما يضيع الجدول في خضم النهر الهادر . فسوريا التي تسعى اليوم جاهدة إلى الاتحاد ، لم تتم لها الأيام أن تكون متحدةً واحداً ، رغم أن الطبيعة كوّنتها رقعة واضحة المعالم ، بإبرزة الحدود ، لا تتخللها الحواجز ، وحباها الزمان منذ ثلاثة عشر قرناً لساناً واحداً . فمنذ أن تكونت الدول ، وما يلزمها من شهوة الفتح والمجد ، وزهوة النصر ، وسوريا لم تنفك تتلقى جفاف الغزاة . فلم يقدر لها أن تحيا مستقلة ، وتستريح من عناء الفتح ومتاعبه ، وتستشعر زهو السيادة والسلطان ، وينتشر اسمها في العالم القديم . ويتوارثها ملوك يحكون باسمها ، إلا في زمن الدولة السلجوقية السورية . ولو قدر لسوريا الحديثة رجل كمحمد علي ، يلم شعبها ، ويوحّد أجزاءها ، ويذكى في قلوب أبنائها الروح القومية ، ويلقح حياتهم بالكيان السياسي الموحد ، ويمجد منهم جيشاً يسير به للحرب والفتح والمغانم قائد كإبراهيم لو خلوا سبيله لبلغ مدى لا يصح التنبؤ عنه ، لأن ذلك كفر في ذات العبقريّة والعزم الفتي والظموح البكر والمجد . أقول ، لو قدر لسوريا ما قدر لمصر ، لما كنا نختلف على كياننا الوطني والقومي . ولو لم تُمن الحركة التي قام بها نجر الدين المعني ( ١٥٨٥ - ١٦٣٥ ) ضد العثمانيين بالفشل ، لكان شأننا غير ما هو عليه اليوم . لكنه ناء تحت وطأة المحافاة التي كوّنتها الدولة العثمانية من الأمراء السوريين المستترّكين الذين كانت تبضّ لهم . وإن المصلحة الذاتية ، هذا الداء المتمكن من نفوس بعض السوريين كتمكن العروق في الأجساد ، أعمى هؤلاء المأجورين عن نبل فائتبه البعيدة ، فتألبوا عليه وأفسدوا خطته ووأدوا طموحه .



ولن أذهب في الظن بعيداً فألقي على كاهل الفتوحات والسياسة تبعة الخلاف في وجهة نظر السوريين إلى قضيتهم القومية، وضعف الحس الوطني، وكل الصفات الملزمة للشعوب التي رضخت للاجنبي فتفنن في استغلالها وتسخيرها لقضاء مآربه وانتزع من أعماقها روح اليقين بالكفاءة والرجولة وصرفها عن جوهر الأمور إلى عرضها. بل أن هناك عاملاً آخر لم يفتن إليه أحد قبل اليوم. فالآداب العربية القديمة في قسميها: تلك التي صدرت عن العرب الجاهليين، أو التي تحدت بعد ظهور الاسلام، وايست عربية الروح صرفاً، قد اتخذناها أساساً لثقافتنا التقليدية. وان هذه الآداب خلّت خلواً تاماً من فكرة الوطن بمقدّماته المعهودة اليوم، ولا أثر فيها للوطنية *patriotisme*، التي تكلاً هذا الوطن. كان العربي قبل الاسلام قائماً في خضم القبيلة والحي والعنصرية، فأصبح بعد الاسلام ذرة لاشأن له أكثر من غيره، ولا فضل له على غيره مهما كان لونه وجنسه، في عالم فسيح هو العالم الاسلامي. ويرى الوطن يتمدد بقدر ما تنشر العقيدة الدينية، ويعم اللسان. وما اتخذ العواصم خارج الحجاز، الوطن الطبيعي للعرب، إلا دليلاً صادقاً على أن العقل العربي لم يكن قد تفتح بعد على فكرة الوطن والوطنية. ويسيء التخريج والتعليل والتفسير، ويخضع التاريخ والحقيقة لنزوات طارئة طائشة، من يظن أن كل البلاد العربية اللسان، التي يتكوّن منها العالم العربي اليوم، كانت قبل الفتح الاسلامي عربية في التربة التي تدوسها الأقدام، والدم الذي يجري في العروق، والكلام الذي تلوّكه الألسنة، والثقافة التي تصقل العقول وتهذب الطباع والأذواق، والدين الذي يعتنقه الشعب ويكوّن تراثه الروحي والخلقي، وان العرب لم تتحرّك جحافلهم، وتلتصق أسنتهم، وتتململ أسيافهم في أغمارها، إلا لينصروا ويحرّروا من نير الفرس والروم اخواناً لهم في العراق ومصر وسوريا والمغرب... فالنزعة التي تؤثر عن العرب وتقسّم بها الآداب العربية هي نزعة التفردية *individualisme*. وهي وان تكن من مميزات الشعوب البدائية غير أنها عند العرب ثمرة البيئة الطبيعية التي يأهلونها. فالجزيرة العربية لا يتصل صمرانها اتصالاً مطرداً، بل تتخللها مفاوز صحيقية، وفلوات واسعة، لا أثر للعمران البشري فيها على الإطلاق.

ولذا نبتت في رأسه فكرة القبيلة التي تكوّن متجده الاجتماعي وتربطه بها روابط



ملالية ، وألف نظره الحي تلك البقعة المحدودة التي تكون واقعها الاجتماعي .  
 والموقع الطبيعي سهمٌ وافر في تكوين النفسية السورية التي تقسم بالتفتح والقلق والبعد  
 عن الاستقرار . فامتدادها الطويل من حدود مصر والمجاز جنوباً حتى جبال طوروس  
 شمالاً وموقعها بين البحر المتوسط والصحراء ، ذاك يحمل إليها الروح الخاصة بمحوض  
 المتوسط وهذه تحمل إليها روح الحضارة العربية — الإسلامية . هذا الموقع الفريد أخضعها  
 لقوتين تتجاذبانها وسوف تظلان تتجاذبان « ثوبها العصي » الى ما شاء الله من الزمن .  
 أضف الى ذلك نشوء المعاهد العلمية الأجنبية — الى جانب المعاهد الوطنية — من  
 أميركية تبث الثقافة الانجلوسكسونية ، وفرنسية تبذر بذور الثقافة اللاتينية ، قد لقحت  
 عقول السوريين بلونين مختلفين من ألوان الثقافة . لكن هذه المعاهد العالية أتاحت لفئة  
 من السوريين أن يطلعوا اطلاعاً مباشراً على جميع مناحي الحياة والنشاط الفكري في الغرب .  
 وهناك فريق آخر تنقف بالآداب العربية فقط ، عزف عن هذه الثقافات كلها ، وأكب على  
 الكتب العربية القديمة يوليها عنايته وتفكيره واهتمامه . ولذا لا يملكنا العجب إذا رأينا  
 فريقاً من السوريين يمم وجهه شطر المشرق والجنوب ويتعلق بالثقافة الإسلامية العربية  
 لا يرضى عنها بديلاً ، ويزى فريقاً آخر يستوحي الثقافة الغربية في شؤون السياسة  
 والاقتصاد والاجتماع والفلسفة والفنون والآداب والعلوم .

\*\*\*

كالطبيب الذي يقبل على معالجة العضو الوجع ولا ظلّ للعجن في قلبه ، ولا أثر للتردد  
 في يده ، ورائده الخير والسلامة والعافية ، بسائق من هذا الروح كتبنا هذا المقال لتعالج  
 مشاكلنا القومية المتعددة ، وبقيننا ان الشعوب القوية في جوهرها ، لا تتلاشى حيوياتها  
 بل تظل مكبوتة طيلة عهود الشدة والحنة والانحطاط . وعند ما تواتيها الظروف وتوائمتها  
 الاحوال ، تنفتح هذه الحيوية وتتألق ، فلا بدع عندئذ أن تنجب الامة أفراداً يتخطون  
 عصرهم ويقودون أمتهم قدماً الى مراقي السؤدد والمجد والكرامة .

الباس يعقرب

صافيتا ( سوريا )





# مكتبة المقتطف

## القانون الدبلوماسي

تأليف محمد حسني عمر بك سكرتير عام وزارة الخارجية — المطبعة الاميرية — ٢٩٨ صفحة

التمثيل الدبلوماسي في مصر حديث العهد بدأت البلاد تمارسه منذ اعلان استقلالها ، فكان من ثمّ علماً على نهضتها وايداناً بقبولها المكانة الجديرة بتاريخها الحافل وكفاية أبنائها وثروتها . واقد شاهدت وزارة الخارجية في غضون الثلاث والعشرين سنة الماضية تقدماً عظيماً تحلى في اتساع أعمالها . فاستحدثت فيها ادارات جديدة تعنى بالمسائل الاقتصادية والثقافية والشئون العربية الى جانب أخرى للمسائل السياسية والادارية . وانتشرت الهيئات الدبلوماسية المصرية من سفارات ومفوضيات وقنصليات في كافة أنحاء العالم تؤدي رسالتها في خدمة المصالح المصرية ، السياسية والاجتماعية والثقافية .

وأدّى انتشار التمثيل الدبلوماسي المصري ورعاية منشئه المغفور له الملك فؤاد الاول وخليفته من بعده جلالة الملك فاروق الاول ، الى سن التشريعات ووضع القواعد الدبلوماسية واقتباس ما يتفق والتشريع المصري من العرف الدبلوماسي الاجني . وهكذا نشأ قانون دبلوماسي مصري عني حضرة صاحب العزة الأستاذ محمد حسني عمر بك سكرتير عام وزارة الخارجية بجمعه مع دراسته دراسة تحليلية في كتاب فريد هو الاول من نوعه باللغة العربية ضمّ بين دفتيه كافة القواعد والاسس الدبلوماسية المصرية مع المقارنة بمثيلاتها في البلاد الأخرى .

وفضلاً عن الناحية القانونية والنظرية للكتاب ، لم يغفل النواحي العملية الدبلوماسية وان مجرد تصفح الكتاب يظهر مقدار ما بذله مؤلفه الفاضل من جهد وعناية . إذ جمع الى



طرافة الموضوع ودقة البحث ، سلاسة الأسلوب وازان التفكير .

فبحث في صفحاته الأولى مراسم البلاط مثل التبليغ عن اعتلاء العرش والهدايا والرتب والنياشين وحفلات التتويج والاستقبال والزواج وتبادل التهانئ ونظام الأسبقية في الدعوات . وتكلم في بابه الثاني عن وزير الخارجية وصفاته ومؤهلاته واختصاصاته وعن وزارة الخارجية المصرية .

وفي فصوله التالية درس منشأ التمثيل الدبلوماسي وحق التمثيل واختيار الممثل والقيود الموضوعية على هذا الاختيار ودرجات الممثلين الدبلوماسيين وموظفي الهيئة الدبلوماسية وعن الوظائف الدبلوماسية في السلك الدبلوماسي المصري . . . الى غير ذلك من الموضوعات الدبلوماسية الأساسية .

والكتاب في الواقع سفرٌ جامعٌ صدَّ فراغاً في المكتبة العربية وله فائدته الجليلة لرجال السلك الدبلوماسي ومن في حكمهم ، في مصر وفي البلاد العربية التي أخذت حديثاً تتبادل التمثيل الدبلوماسي مع الخارج وتعوزها مراجع في الفقه الدبلوماسي ، وهو لغير الدبلوماسيين متعة وفائدة وإطلاع . ولقد وضع المؤلف بكتابه أسس القانون الدبلوماسي المصري الذي سيأخذ — بلاريب — مكانه قريباً بين فروع القانون الأخرى بفضل تعهد واضعه ورجال السلك الدبلوماسي المصري له ، مهتمين بدراساتهم وتجاربهم .

### ( ١ ) ثورة سنة ١٩١٩

تاريخ مصر القومي من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩٢١ — جزءان : الاول في ٢٠٧ صفحات .  
والثاني في ٢٣٠ صفحة من القطع الكبير — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر

خلال سني الحرب أصدر مؤرخ مصر الحديثة الأستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعي بك حلقة من حلقات سفره الخالد عن تاريخ الحركة القومية ، وهو كتابه « مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال » الذي تناول فيه تاريخ مصر القومي من سنة ١٨٩٢ الى سنة ١٩٠٨ وقد شئت يومئذ الكتابة عنه فلم يقدر لكلمي عن ذلك الكتاب أن ترى النور لأن الظلام الذي ساد العالم حينذاك امتد إلينا في رقابة غشوم ، وكانت الحجة في عديم نشر الكلمة أن وقتها لم يكن مناسباً لأن موقف إنجلترا وقتئذ كان مما لا تحسد عليه ، وكان أعداؤها على أبواب وطننا . فسكتُ أمام ذلك على مضض ، وكمت سكت كاتب ، وكمت خفقت أقلام !  
واليوم ، يخرج لنا الأستاذ الجليل بقية هذا التاريخ الجليل ، صفحات قريبة الآثار إلى



أبناء هذا الجيل ، صفحات سطرت بدماء الشهداء الأبرار هبوا يطالبون بحق هذا الوطن المقدس . ولقد أحسن الرافي بك حين أخرج للجيل الحديث الناشئ هذا السفر من تاريخ وطنه في هذا الوقت الذي بدأ فيه كل مصري يطالب بحق وطنه ... فالصورة واحدة ، والظروف واحدة ، والمأساة واحدة . وعودت تخلف ، وأطماع تبدو جشعة نسيت كل ما كانت تعلنه على الملأ من مبادئ تقرير المصير وحرية الشعوب . فصدور كتاب كهذا ليس دعوة إلى ثورة وإنما هو تنوير للأذهان وتذكير بالماضي ليبنى الحاضر على أساس سليم . فقد مضت فترة من الزمن بين تلك الثورة ، وما زلنا الآن كأننا لم نتقدم في حدود الزمن إلا مدى يسيراً وما جنته البلاد من هذه الثورة في نواح يكاد يطفئ عليه المطالب الأممي الذي كانت تهدف إليه البلاد حين هبت وقتئذ ، وتهدف إليه في وقتنا الحاضر . ولكها من الثورات التي تحتل في الحركات القومية مكانة جديرة بأن تسجل لمصر المجد ولابنائها الفخر .

والرافي بك في خلقه وترفعه هو الرافي في أسلوبه ونظراته لحقائق الحوادث : نزاهة وبعد عن الغرض وتسامح عن الحويصة ، ونظر إلى الغاية التي رسمها لنفسه حين أراد أن يسجل للأجيال القادمة تاريخ وطنهم في أشد مراحل القومية . ومن أجل ذلك كان التقدير الذي حظى به كتابه عن الحركة القومية .

وقد تناول تاريخ هذه الثورة في ستة عشر فصلاً ، أطلعنا فيها على حالة الوطن خلال الحرب العالمية الأولى ثم كشف الستار عن الأسباب الحقيقية للثورة من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وجلا الحوادث التي تطورت منذ انتهاء تلك الحرب إلى أن اندلعت شرارة الثورة ، وعرض للقارئ صوراً للثورة لم يشأ أن يمر بها دون أن يسجل فيها أسماء من ضحوا بأرواحهم فيها من الشهداء المجهولين ، ومن ذلك يتضح مقدار الجهد الذي قام به في سبيل هذه الغاية ، ثم تناول بعد ذلك ما فعلته بريطانيا للتخفيف من حدة تلك الثورة ولكن الثورة استمرت فتبع ذلك سياسة الاعتداء والاعتقال والمحاكمات ثم وصول لجنة ملتر لتحقيق أسباب تلك الثورة ولتبحث عن الوسائل التي تكفل ملافاة أسبابها في المستقبل ثم استشارة الأمة في مشروع ملتر ، وانتهى المؤلف الجليل بعد ذلك إلى بحث قيم في الثورة وهل نجحت وما هي النواحي التي نجحت فيها ثم أعاد نشر الوثائق التاريخية التي تعهدت فيها إنجلترا بالجلاء عن مصر .

\*\*\*

هذا عرض سريع لما الطوت عليه صحائف هذا السجل الرائع لحقبة من تاريخنا القومي



يجب أن نعمل على أن يقرأه كل مصري ليعرف الصورة الحقيقية للثورة المصرية التي نعيش في ظلال مجدها ونرى آثارها واضحة ونشهد من عاصروها ومن اكتسبوا بنارها ، وأنها لصفحات خطها المؤرخ الزيه ، والوطني الصادق ، والباحث الذي لا يرضى بجهد في سبيل غاية وطنية وأي غاية أمي منها !

## (٢) السيد احمد الفيض أبادي

١٠٣ صفحات من القطع الوسط — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر

تناولت في العدد الماضي من هذه المجلة كتاب « محمد بن عبد الوهاب » على أنه أول كتاب صدر في الحجاز من أدب التراجم ، وقد قدر لي بعد ذلك أن أقرأ الكتاب الثاني من هذا الفن في أدب الحجاز ، وهو حلقة من سلسلة يقوم بوضعها الأديب القدير الأستاذ عبد القدوس الأنصاري من أدباء هذا القطر الشقيق العاملين على رفع منار الأدب الحديث هناك بمجلته الناهضة « المنهل » التي تتلاقى على صفحاتها أفلام كبار الكتاب . وهذه السلسلة هي دراسات عن بناء العلم في الحجاز الحديث . فكانت الحلقة الأولى منها عن السيد أحمد الفيض أبادي مؤسس مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة التي أخرجت تلاميذ أصبحوا عماد الحركة العلمية هناك والمتزعمين قيادتها .

والأستاذ عبد القدوس أحد تلاميذ السيد أحمد الفيض أبادي الأوفياء ، وآية وفائه هذه الترجمة الرائعة التي ألفها عن حياة هذا الراحل الكريم . وقد تفنن في وضع هذه الدراسة واستطاع أن يصوغها صوغاً قصصياً جذاباً يمتلك حواس القارئ وإعجابه .

ولا غرو فالأدب الحجازي الحديث له من مقومات الحياة والنهوض ما يدعو الى الإعجاب . فقد أخذت النهضة الأدبية هناك تخطو خطى سريعة في مضمار التقدم ، وذلك برعاية العاهل العربي العظيم جلالة عبد العزيز آل سعود وأمراء سعود المعظمين ، ففي هذا الظل الكريم تنهض حركة مباركة في فنون الأدب والعلم تبشر بمستقبل زاهر للجزيرة العربية يعيد إليها عهدها الغابر ، وفي هذا الظل الكريم تخرج آثار روائع تبعث على الإعجاب والتقدير ، ومن هذه الروائع هذه الحلقة الأولى من تلك السلسلة التي نرجو أن يعمل الأستاذ الأنصاري على إخراجها كاملة في أقرب وقت .

مصطفى كامل الصبري



## تفريعات الصباح

نظم محمد الاسمر — نشرته دار المعارف بمصر — صفحاته ٢٤٠ من القطع الوسط

الطابع الذي تنفرد به المدرسة الحديثة في الشعر يبدو جلياً في ذلك الولع باطلاق الخيال في أودية لم تكن مراداً لاستباق قرائح الشعراء . ولا مسجاً لخواطرمهم . ولقد تعود وفي أسلابها ما يروع القلب قسامته ، ويسبي الطرف جماله ، ويغري بترداد النظر بهاؤه ، ولكن سرعان ما يجني على روعته ، ويتحيف جماله هلملة الثوب وتواضع الأسلوب ، فالعناء في مذهب تلك المدرسة والكد وراء التعابير ، والضنى في صقل الأساليب ، أيسر من أن يبذل فيه كل هذا الجهد ، وهو أهون من أن يستحق هذا الاحتفاء . فإ الشعر في نظرها إلا تلك المعاني والخطوط ، تربط بينها وحدة الفكر ، ويسلسلها سياق المنطق ، ثم تعرض في أي معرض فلا يفيض من جمالها ، ولا يطامن من عزتها إن أعوزتها زخارف الصناعة الفنية . أما المدرسة القديمة فهي تؤمن بأن المعاني والخطوط أقل شأنًا من أن تستغرق نشاط الشاعر بل هي تكاد تكون تحت متناول اليد أو هي ملقاة في الطريق على رأي القدماء . أما تفاوت الشاعر وقبريزه ، وامتياز فنه ، فبقدر ما يوفق في حوك الحلل التي تحظر فيها معانيه ، وجمال الأسلوب الذي تشرف من خلاله . فإذا ما تهيأ للشاعر هذا الوضع فقد شارف ما يشرئب اليه الطامع . وهذا الديوان يمثل تلك المدرسة القديمة تمثيلاً قوياً رائعاً فلا تروعك معانيه — على جمالها وفتنتها — بقدر ما تأخذ بمجامع قلبك رصانة أسلوبه ، وروعة بنائه ، وجلال فنه الهندسي . دولة المعاني فيه معهودة لك فهي تمت بأقوى الصلات الى تلك البيئة البغدادية في أوج عظمتها الأدبية . وليس هذا يطامن من شأن الشاعر ، أو ينتقص من جلاله ، ويتحيف شاعريته ، ولكنه وفي لبيئته وسليقته ، واستجاب لطبعه ، فهو سليل بيئة عربية دينية هي البيئة الأزهرية ، ترى أثر هذه البيئة العربية الخالصة في متانة أسلوبه ، وإشراق ديباجته ، ونحس أثرها أيضاً في روحه من مجافاة التهويم في أجواء ينفر منها الخلق ويقشعر من التحليق فوقها الضمير الحي . وقد خلاص الديوان خلوصاً بعيد المدى من المسحة الدينية التي تلقى عادة طول الدراسة الدينية ، وحسبك من دراسة تبلغ بصاحبها منزلة صاحب الفضيلة وهو ثمرة ناضجة من ثمار تلك المدرسة ونموذج صادق لهذا النوع من الشعر الذي يطربك جرسه ، وتهزك نغماته ، ويثير إعجابك نصاعة أسلوبه . وإن كانت لا تبلغ منك في كل الأحيان كل هذه المنازل معانيه ، ولا تستوقفك الوقفات الطوال مأخوذاً مشدوهاً ، فهي من ذلك النوع الذي نلجج به ، ولكنه العجب الذي نملك معه الزمام ، ونحتفظ بكثير من الهدوء والسكينة ، وإن كان



فنه الأدائي يبلغ بنا في كثير من المواطن مبلغ الاكبار له ، والشوق لترداد لغاته ، واستعادة  
الحنانه ، والنشوة لأغاريده .

هلم بنا أيها القارئ تنتقل بين أعطاف هذا الديوان بعد أن أجملنا الخصائص التي تطبع  
فنه لتبين تلك المشاهد التي قدمنا بين يديك وصفها ، ولنعبر في غير مهل ذلك الجانب منه  
القائم على المناسبات ، لأن مماءه قل أن تصفو لقرائح الشعراء ، وتحليقهم في أفاقها مضى عسير  
وقنائصها لا تستهوى الذوق . ولعل الاخفاق المتوالي من جبارة هذا الميدان يمهّد العذر  
للشاعر فلننتخطاه مسرعين ، فلا طائل من طول المسك في ظلال فن المناسبات ، ويكفي أن نقف  
على تلك الينابيع التي هي مجال الشعر ومصدر العواطف . فاليك قصيدته في الحنين .

وطال حنيني حين طالت بي النوى	فياليت شعري ما يفيد حنيني
إذا غرّدت ورقاء أو لاح بارق	ذهلت وصالت بعد ذاك شؤني
يقول أناس أنت تمجن في الهوى	وكيف بدمي في الهوى ومجوني
سعاد أما لي نحو أرضك رجعة	وقد جن من شوق اليك جنوني
يراك فؤادي والديار بعيدة	فياليت شعري هل تراك عيوني

ويقول في طلائع الشيب :

أقول والشيب في رأسي طلائعه	يا شيب ويك أناس أنت أم عجل
قد راعني منه بضع ما أبينها	فكيف بي حين أغدو وهو مشتمل
زعتها فتبدت بعد ما زعت	وكيف بقلبي شيئاً ليس ينتقل
يا حمة الفاحم الغريب من شعري	كيف الأمان وقد حلت بك الشغل

هذه المعاني والصور التي يعرضها الشاعر من تلك الميادين التي تعد الميادين الأصلية  
لاستباق القرائح الأدبية والكنز الذي لا تنفذ صورته وأخيلته ولكن الشاعر كان مقتصداً  
فانما ، ولعل ولعه بمجال الصناعة وتصيد الجزالة نأى به عن تلك التهاويل والصور التي تعد  
الهدف الأول للمدرسة الحديثة .

محمد عبير الحليم أبو زيد



## فهرس الجزء الثاني

من المجلد التاسع بعد المائة

ألبرت اينشتين	٥٧
الجلس القومي	٦٣
خريف ( قصيدة ) : عدنان مردم بك	٦٤
ساروجيني نايدو : شاعرة الهند وروحها الحار	٦٦
خرافة تاريخية : سيدة نورميدور ومصرع روبسبير : ع . ش	٧٠
من شعر المرحوم حفي بك ناصف	٧٣
أدب البحر عند العرب والفرنجية : نسيب الاختيار	٧٤
المتني : شغل الناس في كل عصر : السهمي	٨٠
الرأي العام الاجتماعي : نقولا الحداد	٨٢
صيرورة سوريا في التفكير السوري : الياس يعقوب	٨٧
مكتبة المقتطف « القانون الدبلوماسي ١٠ — ثورة سنة ١٩١٩ . ٣ — السيد أحمد	٩٨
الفيض أبادي : حسن كامل الصيرفي . تفريعات الصباح : نظم الشاعر الاسمر : محمد	
عبد الحليم أبو زيد .	

لحق

٧٢—١ فلسفة التفاحة أو جاذبية نيوتن : بقلم نقولا الحداد